كتاب اليوم

الراقصون على النار

محمود النواصرة

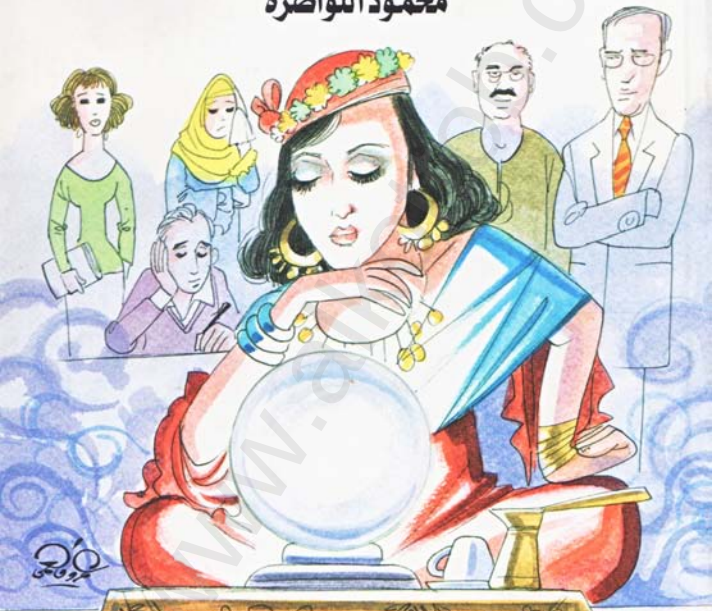

تقديم: د. علاء الأسوانى

www.alkotob.com

المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة - بلوك ١٢٠٢٤

كتاب اليوم

الراقصون على النار

محمود النواصرة

تقديم: د. علاء الأسواني

رئيس مجلس الادارة

محمد عهدى فضلى

رئيس التحرير

نوال مصطفى

Amly

www.alkottob.com

كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم

العدد رقم ٤٩٠
يناير ٢٠٠٧

يصدر أول كل شهر
عن
دار أخبار اليوم

٦ شارع الصحافة
القاهرة
ت: ٥٨٠٦٢٣٥
تليفاكس: ٥٧٨٤٤٤٤

الغلاف:
عمرو فهمى

الإخراج الفنى:
عبدالقادر على

تخفيض ١٠٪
من قيمة الاشتراك
لطلبة المدارس
والجامعات المصرية

أسعار البيع
خارج مصر

سوريا ١٠٠ ل.س - لبنان ٤٠٠٠ ل.ل - الاردن ١,٥ دينار - الكويت ١ دينار - السعودية ١٠ ريال - البحرين ١ دينار - قطر ١٠ ريال - الامارات ١٠ درهم - سلطنة عمان ١ ريال - تونس ٢ دينار - المغرب ٣٠ درهم - اليمن ٣٠ ريال فلسطين ٢ دولار - لندن ٢ جنيه - امريكا ٥ دولار - أستراليا ٥ دولار استرالى - سويسرا ٥ فرنك سويسرى.

الاشتراك السنوى

داخل مصر	٧٢ جنيها
الدول العربية	٣٣ دولارا أمريكيا
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا	٤١ دولارا أمريكيا
أمريكا وكندا	٤٧ دولارا أمريكيا
باقى دول العالم	٦٢ دولارا أمريكيا

العنوان على الانترنت
www.akhbarelyom.org.eg/ketab

البريد الاليكترونى
ketabelyom@akhbarelyom.org

قبل أن تقـــــرأ..

إنها قصة حياة غير عادية! ورواية تحكى عن الأخطاء التى تطمس خريطة حياتنا وتغير ملامحها وتنقل خطوطها!

هل الإنسان مسير أم مخير سؤال تطرحه الرواية منذ الصفحة الأولى حتى الأخيرة عبر أحداث ومواقف وتقلبات وصراعات يواجهها أبطال القصة، وتتجلى فيها مفاجآت القدر.

فالأحداث من بدايتها تحمل كبوساً تلو آخر، ومفاجأة تلو اخرى. تتعقد العلاقات وتتشابك ويصبح من المستحيل إصلاح الخطأ، لأن معناه الوقوع فى خطأ أكبر فى سلسلة لا نهاية من عبثية القدر.

والرواية هى الأولى فى مشوار الأديب محمود النواصرة لكنه أصدر قبلها عدداً من المجموعات القصصية التى لاقت ترحيباً من النقاد والجمهور على حد سواء.

وهو فى هذه الرواية وعنوانها «الراقصون على النار» يفجر داخلنا إحساساً شجياً بالألم والأمل معاً.. ويجعلنا نقف أمام

www.alkottob.com

انفسنا في المراة لنسالها: لماذا نقضي العمر في كذبة او خديعة؟! كيف نبدد ايامنا في انتظار حلم او سراب. ونضيع في الوقت نفسه فرصتنا الحقيقية في السعادة بما نملك. وما في ايدينا لكننا لا نراه!

ومحمود النواصرة في تلك الرواية يكشف كم التناقضات التي تعتمل في النفس البشرية بين خير وشر.. صدق وكذب. وفاء وخيانة. شجاعة وجبن!

ويسعدني من خلال كتاب اليوم ان اقدم هذه الرواية في اطار الفلسفة التي تبنيتها منذ ان توليت رئاسة تحرير هذه السلسلة العريقة وهي تقدم الادب العربي بانواعه المختلفة. ولا شك أن فن الرواية يحظى بجماهيرية واسعة عند القارىء العربي والقارىء بوجه عام.

والان اتركم مع صفحات الرواية الشائقة.. والمؤلف صاحب الاسلوب الجميل والموهبة الاصلية محمود النواصرة.. واتمنى ان تستمتعوا باحداثها.. فهي رواية تعتمد على الصورة التي جسدها الكاتب باحتراف.. واعتقد انها ستجذب الكثيرين لتحويلها الى فيلم سينمائي..

نوال مصطفى

يناير ٢٠٠٧

تقديم

ربما تكون مصر بلدا فقيرا في مواردها . لكنها . بالتاكيد اذا قست بمواهب ابنائها . من اغنى بلاد العالم . فعلى مدى التاريخ كانت مواهب المصريين غزيرة ومتنوعة بشكل مدهش . لكن مشكلة مصر الكبرى انها لا تستفيد من مواهب ابنائها ولوفعلت لكانت في مقدمة الدول من زمن طويل . وقد تعلمت من خبرة اكثر من ربع قرن في مجال الادب ان الاسماء الادبية المعروفة ليست بالضرورة دائما الافضل ادبيا .. وان هناك ادباء كثيرين يمتلكون موهبة ادبية اصيلة لكنهم لسبب او لاخر لم يحظوا بما يستحقونه من التقدير . وانا الان اشرف بتقديم احد هؤلاء الكتاب المجيدين .. الاستاذ محمود النواصرة .. الذي قرات له اكثر من مجموعة قصصية اعجبتني . ونمت عن قلم رشيق واسلوب اخاذ .. ثم قرات له هذه الرواية فعايشت بشغف ومتعة احداثها وشخصياتها . والحق انها رواية سينمائية بمعنى الكلمة .. فمنذ السطر الاول احسست بانني اشاهد فيلما كتب باسلوب قصصي .. واثارت الرواية في نفسي كل ما يثيره الفيلم من تشويق واحاسيس وانفعالات مختلفة .. وانا اتمنى ان ينتبه احد منتجي او مخرجي السينما الجادين في بلادنا الى موهبة هذا الاديب المتميز .. حتى يحظى الجمهور في مصر بالمزيد من الاعمال السينمائية الجادة الراقية .. هذه كلمة حق وجدت من واجبي ان اقدم بها الرواية .. و اتركك الان . ايها القارىء العزيز . مع متعة قراءتها ..

علاء الأسواني

www.alkottob.com

المقدمة

الرحلة مع الكتابة ذات مذاق خاص رغم العناء والمشقة مع القلم ، فأحياناً يكون كالحصان الجامح وأحياناً كالسلحفاة ، يتأثر القلم غالباً بالحالة المزاجية للكاتب حيث تضفى بظلالها على أفكاره وأسلوبه. وأمل أى كاتب أن يكون له نخبة من القراء ينتظرون كتاباته وتكون محل إعجابهم أو نقدهم. وحرفية الكاتب تظهر فى أن كتاباته تشد القارئ ، وتحيّد مزاجه. حتى يصبح أسيراً للكلمة التى يقرؤها. أقول هذا لأن الرواية التى بين أيديكم خضعت لكل احوال المزاج تعلو وتهبط حسب الحدث. ولا أخفى سراً بأننى عانيت كثيراً خلال كتابة هذه الرواية لأنها تجربتى الأولى فى عالم الرواية حيث أن مؤلفاتى السابقة كلها عبارة عن مجموعات قصصية قصيرة. كما أن الرواية بحق تعتبر أميرة الأدب فلابد أن تأخذ حقها فى الشكل والمضمون ، حيث الفكرة جامحة وتحتاج إلى ترو وتؤده حتى لاتقع فى شباك المحظو.

لذلك كان الأمر صعباً ، أتمنى من الله العلى القدير أن تظل نقطة مضيئة فى حياتى الأدبية التى بدأت معى فى خريف العمر.

المؤلف

محمود النواصره

«إهداء»

- إلى كل من أحبهم وهم كثر
- إلى كل قلب عاشق للحياة
- إلى كل ساعد يبنى ولا يهدم
- إلى أمى .... مصر
- إلى غصن الزيتون الأخضر

المؤلف

محمود النواصره

(عضو إتحاد كتاب مصر)

www.alkottob.com

الفصل الأول

يندب حظه التعس، اسود وجهه، المرة الخامسة والجنين أنثى.يؤنب الزوجة يتوعدها بالهجران.عالم المعلّمين يقدّر الولد دون البنت،يشعر بأن رجولته ناقصة.يصب جام غضبه على الزوجة، وينعتها بأدنى الصفات، معتقداً جهلاً بأنها السبب.لاتستطيع أن ترد. تبتلع كلماته الصعبة.مسكينة مغلوبة على أمرها. تحاول إرضاءه بشتى الطرق، لم تتوان فى الحمل، لم تعدم المحاولة غير يائسة. ما إن تنتهى فترة الرضاعة حتى تحمل من جديد متحملة المتاعب، لعل الله يرزقها بالولد، فتهدأ سريرة زوجها الشرس.

يلقبه زملاؤه بأبى البنات، يكره أن يسمع ذلك، يعيرونه، يزيدون فى غيظه، يضربون له الأمثلة عن العار والهمّ للممات، يتخذونه مادة للسخرية والضحك فى جلساتهم الخاصة، والدخان الأزرق يؤرجح عقولهم. النكات " والقفشات " معظمها على إنجاب البنات.

ذهب للطبيب وهى معه ليتأكد من نوع الجنين. رآه على الشاشة : أنثى. طلب منه فى عصبية أن يجهضها. أبى الطبيب لخطورة ذلك على حياة الأم، وحاول أن يقنعه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويذكره بيوم الحساب. لم يرتدع. فاجأه بالمعلومات الطبية بأن السبب فى تحديد النوع هو الرجل وليست المرأة. لم يصدق.

www.alkottob.com

حديقة الأندلس، تلك البقعة الخضراء التى تطل على ضفاف النيل بهوائها العذب الرطب. تحمل نسمات عليلة تريح القلوب الملتاعة هى ملاذها فى حالة زهقها أو اذا كان بالها مشغولاً. تجلس على الأريكة وحدها بعد أن أمرت الخادمة بالذهاب الى السيارة. شاردة تلقى بنظراتها على سطح الماء تسرح فى مشاكلها وتحدق بمقلتيها فى السماء تدعو أن تستريح من هذا العذاب الذى يأتى مع كل حمل. أفاقت على صوت سيدة تقف أمامها تقول لها إنها تضرب الودع وتقرأ الفنجان. نظرت إليها بسخرية واتخذتها تسلية فى وقت هى فى أشد الحاجة لذلك.

جلست مستهزئة أمام العرافة، ضربت الودع. حامت حول مشكلتها تنجم وتلاحقها بالنظرات. اتسعت حدقتا عينيها مبهورة بما تسمع كأنه كلام الغيب، أخذت منها أطراف الحديث، وأفاضت فى شرح مشكلتها. صمتت المنجمة برهة، ثم أطلقت قذيفة هزت كيان يسرية، برقت عيناها حينما قالت لها إن لدىّ الحل !!

أمسكت بتلابيبها، تخشى أن تهرب منها. استحلفتها بالله ألا تدعها دون الحل.

طلبت أن تجلس معها بعيداً عن الأنظار وألا يسمع كلامهما أحد أو تبوح بما سيقال، وأخذت منها موثقاً.

- صاحبتى الروح بالروح اسمها عطيات بتشتغل كبيرة ممرضات فى مستشفى ولادة كبير قوى. عايزة منك أول ما تحسى بالولادة تروحى المستشفى دى وح تولدى ولد مش بنت.

ففرت فاها، ارتعدت فرائصها من هول ما سمعت، تتعتع بالكلمات، والحروف تخرج من بين شفتيها بصعوبة بالغة :

- يعنى تغيرى المولود؟! ازاى؟ وجوزى عارف انها بنت.

- الدكاترة بيغلطوا كتير وجوزك له اللى ح يشوفه.

أشاحت الزوجة بوجهها. قامت من جلستها تستنكر ماسمعت. المنجمة تتفرس وجهها الحزين متأكدة بأنها تتمنع وهى راغبة. تصنعت اللامبالاة، وهمَّت بالانصراف وهي تردد على مسامعها :

خلاص اقبلى الطلاق أو هاتيلك ضرة. نكأت بذلك الجرح العميق، فسرت إشارة سريعة إلى مخ يسرية تعيد التفكير. ضعفت، والتفتت إليها تطلب منها الجلوس. سألتها وقد امتقع لونها :

- ده ح يكون سر مش ح ينكشف أبداً؟؟

- ما حدش ح يعرف بيه إلا أنا وأنت بس.

- ح أربى ابن غيرى؟

- هو ده حل مشكلتك. ح تحافظى على جوزك وساعتها ح يلبى لك كل طلباتك... ح تبقى عنده الكل فى الكل... شرد ذهنها قليلا ثم قالت :

- موافقة.

انتصبت المنجمة، معتدلة القوام بنشوة الانتصار، تقول :

- بس.. بس ده ثمنه غالى.

- مستعدة لأى مبلغ.

- اطمنى خلص الموضوع.

طلبت الانصراف على وعد منها بلقاءات أخرى تُعرِّفها من خلالها بعطيات.

لم تنم ليلتها. سهاد وأرق، النفس الأمارة بالسوء تتغلب على عقلها، اتبعت هواها، وسيطرت الفكرة الخبيثة على فؤادها الفارغ. دفعت عربوناً كبيراً للخطيئة. العرافة تزيّن لها ما تفعل. سوف تضمن مصدراً تبتزه كلما أرادت أو حانت لها الفرصة.

المعلم عبد العال يأبى الذهاب معها ساعة الولادة منذ البنت الثانية، يتركها مع أهلها يتولون شئونها مادامت تنجب إناثاً.

كشك الولادة مزدحم بالحوامل. الأمهات ينتظرن أدوارهن حسب حالة كل منهن. كبيرة الممرضات تعرف أن هناك بصمة بالقدم للمولود وإسورة تحيط بيده، يكتب عليها اسم الأم. هي محترفة تتقن التزييف بطريقة تبعدها عن الشبهة، شيطانة تتحرك بين ملائكة أعماها المال وارتكبت جريمتها أثناء مرحلة "التشفيط".

www.alkottob.com

لحظة الولادة مباشرة، بدلت بالبنت ولداً.

زغرودة طويلة رنت بأرجاء الممرّ الفسيح، صدرت من أخت الزوجة بعد أن أخبروها بأن المولود ولد، رفعت غطاء شعرها تدعو وتردد " ياما انت كريم يارب " إن الله خلاف الظنون، قادر على كل شيء، لقد أخطأ الطبيب.

هاتفت زوج أختها بالتليفون تبشره بالخبر، سقطت من يده السماعة وهو يهلل مش معقول.. مش معقول. يرقص ويصيح داخل الوكالة.. خلفت ولد.. خلفت ولد.

دقائق معدودة وصل خلالها إلى المستشفى، وما إن وطئت قدماه عنبر الولادة حتى هرول نحوها، وراح يقبلها، ويقول لها :

- لو أعرف إنك ح تجيبى ولد كنت وديتك أحسن مستشفى... المستشفى دى مش قيمتك ولا مقامك، إنت تولدى فى خمس نجوم، لم تستطع أن تنظر إليه، أغمضت عينيها، يعبث بخصلات شعرها ويتحسس برفق جبهتها وخديها، ويداعبها بقوله : " إنت لسه زعلانه.... ده كان شيطان ".

نظر إلى الولد مبتسماً، رفعه بحنان إلى فمه. طبع عليه قبلة مليئة بالسعادة، وقد انتفخت أوداجه فخراً وزهواً. طلب من الممرضة أن تبدأ فى إجراءات الخروج.

سألها بهمس وهى تكتب الأوراق.هو ممكن "السونار"يغلط فى معرفة واد ولا بت؟. اجابته بنعم. اطمأن قلبه، زادت فرحته.

دفع حساب المستشفى، وتطايرت من جيبه أوراق مالية من فئة المائة جنيه، يوزعها على العاملات والممرضات، فإذا به وهو فى قمة نشوته هَرْجًا ومَرْجًا شديدين. تلفت نحو الصخب والضجيج، ورأى زوجته وقد تركت السرير لتمسك بعنق عطيات تكاد تخنقها، تصيح بأعلى صوتها : مش عايزة فلوسى فى ستين داهية... عايزة بنتى..... ضنايا.

رمى ما بقى فى يده من نقود، تصارع حولها الكثيرون، وانشغل ذهنه بما يراه. لم يصدق، هل هذا معقول؟؟ الفرحة تكاد تتلاشى

ويحلّ بدلاً منها حزن شديد، هل يقبل أن ينزع الظلام منه ضوء النهار. فيجعل رؤيته سواداً؟. لقد عرف الجميع أنه أنجب ولداً، أيكون أضحوكة وسط المعلّمين؟ يسمع ضحكات الوكالة عالية مدوية تصم أذنيه،تهزه من أعماقه، سيظل ناقصاً أمامهم، يرى الشامتين وقد انتصبوا يغازلونه بما يكره، تصور نفسه وقد عاد فزعاً مرة أخرى.. إنه الآن عملاق، الأمر إذن خطير والأحاسيس تتمزق، تبعثرت أفكاره، الكل سوف ينهش عظامه، صمم فى برهة ألا يتخاذل ولن يتراجع مهما كان الأمر.

استجمع قواه، واتجه مهرولاً نحو زوجته وغريمتها. مازالت الزوجة قابضة على عنقها بيديها تكاد تخنقها. الأخرى تستغيث. الكل خائف من ثورتها وهياجها.

جذبها بقوة حتى أوقعها على الأرض. تنفست كبيرة الممرضات الصعداء، تتحسس بيدها رقبتها، وتشهق بكل قوة حتى تدخل كل الهواء فى صدرها لعل رئتيها تعوّضان مافقدتاه. كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت خنقاً.

الزوجة انتابها نوع من الهيستريا يهز صراخها أرجاء المكان كله تطالب بابنتها وترفض الولد. أخذها الزوج بين ذراعيه، وكمّم فاها، يستجدى منها الهدوء والصمت، يتوعدها،يهددها، ويطلب من الممرضة أن تحقنها بمهدئ لأنها ثائرة وليست فى وعيها.

ساوره الشك، وذهب سراً إلى شخص مسئول يسأله : هل يمكن حدوث خطأ أو تبديل للمولود، فأجابه جازماً بأن الخطأ غير وارد على الإطلاق، حيث بصمة القدم وأسورة اليد تثبتان البنوة. طلب منه أن يتأكد. راجع الرجل الأوراق فأخبره بأنها مطابقة ولايوجد ثمة خطأ. اطمأنت سريرته، واستراح قلبه.

عاد يرفع الطفل من سريره، يتأمل وجهه، ويصيح بأعلى صوته "الواد شبهى" إبنى حبيبى.

نظراتها حائرة، عيناها زائغتان، تنظر إليه تارة، وإلى الطفل تارة أخرى، تتقلب بين فرحة الزوج، وألم الحقيقة. اتهمتها عطيات

www.alkottob.com

بالجنون والهذيان، وأن ذلك من أثر المخدر. أحشاؤها تتمزق، تكاد نبضات قلبها تقف من سرعتها، ماذا تفعل؟.

اكتملت الجريمة وليس هناك رجعة، تفيق وتغيب، تنظر إلى الطفل تحمله، وجه بريئ تحمله أيد آثمة. الندم واللوم يعتصرانها. العقل يملى عليها مسايرة الواقع والقناعة به، أيقنت عدم جدوى ماتفعل. بطش زوجها شديد. نظرت إلى زوجها بابتسامة باهتة، تقول له : مبروك يا عبد العال " خلفت ولد "طبع على جبينها قبلة الشكر والامتنان.

الزينة فى الشارع الذى يقطن فيه وفى الوكالة محل تجارته بمناسبة المولود الذى طال انتظاره، أقام سرادقاً كبيراً تزين بكثير من الألعاب والبالونات. الحصان والمعلم يرقصان ومن حوله الصغار والكبار. نحرت الذبائح، اللحم والثريد يتم توزيعهما على الفقراء والأغنياء معاً. الكل يهتف " المعلم خلف ولد " يباركون له. يأخذونه بالأحضان والقبلات. طلقات الرصاص تدوى فرحاً عندما أعلن الطبيب إتمام الطهارة.

الاهتمام بالولد من جانبه فاق التصور. أحب أوقات مكوثه فى البيت. دائماً يحمله بين يديه ويحتضنه بحنان، يخاف عليه من نسمة الهواء فى قلبه فرحة، وفى قلبها حسرة سألت نفسها ماذنب الطفل؟. خنع قلبها الراجف له، ترضعه تحنو عليه، لكن الحقيقة تنغص حلو حياتها. تفكر كثيراً فى ابنتها، قررت بداخلها أن تعرف مصيرها. صممت على ملاحقتها، فربما تقدم لها عوناً، أو تعود لها يوماً ما.

بحثت فى أوراقها عن رقم هاتف العرافة، انتقت وقتاً البيت فيه خال، هاتفتها، فلما عرفت المنجمة شخصية محدثتها هللت ورحبت بها. " النقود تلوح أمام عينيها، أحست يسرية أنها تكاد تطير فرحاً لسماع صوتها، وهى لاتعرف أن السبب هو المال. سألتها :

- إزى الواد؟

- كويس

- أنا سمعت انك عملت فضيحة فى المستشفى..

- دى كانت هلوسة بنج... محدش صدق كلامى.

أنا عايزة منك خدمة... وكله بحسابه

- تحت أمرك... عايزة إيه؟؟

- عايزة أعرف بنتى راحت فين؟...

قبل أن تكمل سؤالها أردفت تقول سأدفع المقابل الذى تطلبينه .جاءها الرد سريعاً بأنها رهن الإشارة، وسوف تقابل عطيات، ولكن عملية البحث قد تحتاج إلى مصاريف باهظة. طمأنتها بأنها جاهزة لأية مصاريف مهما بلغت قيمتها.

ذهبت المنجمة إلى صديقتها، وما أن رأتها حتى لامتها وعتبت عليها بأن الزبونة الأخيرة كانت " ح تورديها فى داهية " تكلمت معها بلغتها التى تفهمها، رضخت واستكانت، وجلست تحاورها :

- هىَ عايزة إيه تانى؟

- عايزة تعرف بنتها فين؟

قامت من جلستها وبوجه صارم وأسلوب حاد، تقول :

- هى مش عايزة تجبها البر ولا إيه؟

طلبت منها الجلوس والهدوء، ملوحة لها بمفتاحها المؤثر وهو مزيد من المال.

- ح تدفع فلوس كتير... كتير قوى

ساد صمت لم يطل، قالت :

- موافقة... بس أقبض الأول.

طلبت العرافة مقابلة يسرية، تقابلتا، وحكت لها مادار من حديث مع صديقتها، وكيف أقنعتها بعد جهد جهيد، وطلبت منها عربوناً.

دفعت الزوجة مبلغاً كبيراً من المال برضاء تام وشعور مختلف عنه عندما دفعت ثمن الجريمة التى كانت هي ركناً رئيساً فيها. ألحت أن تأتيها المعلومات على وجه السرعة.

طالت المدة نوعاً ما والابتزاز مستمر، إلى أن جاءت لها بظرف

www.alkottob.com

مغلق، فضّت ما فيه بعصبية ويداها ترتعشان وقلبها يرجف، قرأت ما بداخله. -

اسم البنت : جاكلين ارمانيوس

العنـــوان : ١٣ شارع مسرة - شبرا

أصابها دوار، كادت تفقد توازنها. استندت على الجدار، تحسست الكرسى تجلس عليه ممسكة بالمظروف وما فيه. رأتها الخادمة فجرت نحوها، لاحظت اصفرار وجهها وبياض شفتيها، خافت أن يكون أصابها مكروه، وهى التى تحبها وتعشقها تربت على خديها بحنان تهزها لتفيق وتسألها : ماذا بها؟

لم تسمع إجابة. أحضرت ماء وسكبته على رأسها. نظرت الزوجة إليها بعين زائغة، نطقت بحروف متقطعة تطمئنها على نفسها، وطلبت منها عصير الليمون. أحضرته الخادمة فى لحظات، وحاولت أن تسقيها، رفضت وأمسكت الكوب بيد مرتعشة ترتشف منه. ولما تبلل ريقها أزاحت الكوب عن فمها تعطيه لها حامدة الله على الإفاقة.

انتبهت إلى ما بيدها، كاد يعاودها الدوار، لكنها تمالكت نفسها وقد اغرورقت عيناها بالدموع. استعظمت الجريمة.. اختلاط الأنساب والأديان معاً. لن تستطيع مقاومة عذاب الضمير، لابد لها من تصرف يعيد الأمور إلى نصابها أو علاج عاجل يصحح الأوضاع الخاطئة، ضاق عقلها بما يحوى، تكاد تجن. استعاذت بالله، وهدأت قليلاً، فقامت تتوضأ لتصلى. رفعت أكف الضراعة إلى السماء أن يقبل توبتها وأن يهديها إلى الحل. عليها أولاً أن تبذل الأسباب بقدر طاقتها وفى حدود علمها، فلا يمكن الجهر لغيرها بالسر الفظيع الذى تحمله ثقيلاً طى جنباتها. وماذا عن الزوج الذى أصبح مولعاً بالطفل لاتمر ساعة دون أن يطمئن عليه أو يراه. لو صارحته لاتهمها بالجنون مرة أخرى وربما أودعها مستشفى المجانين. لديها يقين بأنه على إستعداد بأن يضحى بها وببناتها مقابل الولد الذى كلما رآه ابتسم له وارتمى بين ذراعيه. لم

تكن تتصور أن المعلم يصل به الحال يوماً ما ويدخل بنفسه المطبخ يعد له وجبة الفواكه الخفيفة، يطعمه بيده، وتراه سعيداً وهو يفعل ذلك.

الغريب أنها لم تشعر بجفاء نحو الطفل الرضيع، قلبها يرجف له، ترضعه من صدرها حتى يشبع، يستعذب لبنها وهو يداعب بأنامله الصغيرة الشعيرات التى تتدلى على جبينها، يرفس برجليه يعلن عن سعادته، جميل المحيا دقيق الملامح واسع العينين، أبيض اللون، ممتلئ قليلاً، تحرص دائماً أن تغير له " البامبرز " دون الخادمة، لم تحس تجاهه بشعور مختلف عن بناتها وهن فى مثل عمره.

احتفظت بالعنوان فى دولابها الخاص. تود أن تبدأ البحث عن ابنتها وكيف تردها إليها. خروجها من البيت قليل إلا لأمر هام يعرفه زوجها مسبقاً. لم تتعود أن تكون وحدها بالخارج، فهى إما بصحبة الخادمة أو قريبة أو زوجها.

مرت الشهور تباعاً، وقلبها يزداد لوعة، فكرها شارد يسيطر عليه الوسواس. هل مازالت ابنتها على قيد الحياة أم ألم بها مكروه؟ لاتعرف عنها شيئاً. السهاد والأرق في الليل، والحيرة والعذاب فى النهار، الصليب يتراءى أمام عينيها فى كل ركن من أركان غرفة نومها. تهتز معه الصورة الجميلة التى رسمتها لابنتها.

حمادة إسم تمناه كثيراً عبد العال حتى يكنى بأبى حمادة : يكبر والأسنان تظهر لآلئ فى فمه، يملأ البيت مع أخواته البنات حبواً وضحكاً ولعباً. عضها مرة بأسنانه وهو يرضع من ثديها، نظرت إليه تهم بأن تعنفه. لكن سرعان ما تتراجع مبتسمة تفكر هل بعضها لسبب ما؟! تذكرت الماضي منذ ولادته، فكتمت أحزانها وهى ترى الزوج منبهراً به وبذكائه الواعد الذى ظهرت بوادره من حركاته ونظراته. يعطيه الأولوية. طلباته تتقدم أي متطلبات أخرى، طغى على كل شيء عداه.

يا الهى كيف لايشغل الطفل الحيز الخالى فى حياتها، كيف لاينسيها الجريمة؟. هل يمكن أن تنسى ابنتها الحقيقية؟.

www.alkottob.com

تغيرت الأحوال فى البيت كما تغير المعلم عبد العال إلى الأحسن. صار كريماً فى بيته، يغدق بإفاضة، علا قدر زوجته لديه، وتوثقت ارتباطاته بالأسرة كلها. وألغى سهراته بالمقاهى وتاب عن تدخين الحشيش.

رن جرس التليفون، لم يكن أحد بالبيت سوى يسرية، فرفعت السماعة فإذا بها تسمع صوت المنجمة. حاولت للوهلة الأولى أن تتهرب منها، لكنها سرعان ما أحست بحاجتها الماسة إليها، فردت تقول :

- آلو... مين

- مش عارفانى؟

- عارفاكى كويس... عايزة إيه؟

- عايزة أطمن على الولد.

- كويس... بس ح أموت على بنتى

- عندى الحل.

وقعت السماعة من يدها بمجرد سماعها هذه الجملة، تعرف أنها شيطانة. ترددت كثيراً فى أن تسمع منها، أو تنهى المكالمة. قلبها وعقلها متأرجحان بين شد وارتخاء. العاطفة تغلبت عليها، والفضول زادها رغبة، التقطت السماعة :

- إيه هو الحل؟

- عملية عايزة فلوس كتير قوى

- إنت عارفة الفلوس ماتهمنيش... بس أرتاح

- ح أخطف البت وتربيها مع أختك وبكده تكون قدام عنيكى

- مش.... مش.... معقول... انت اتجننت؟

الفصل الثانى

أرمانيوس ميخائيل ينادونه " برومى " من أشهر تجار الخردة بوكالة البلح. ورث المهنة عن أبيه الشهير " بالمخ " والذى كان يحق مخ الوكالة كلها يُرجع إليه فى كل الأمور الصعبة. رغم أن رومى خريج كلية الهندسة وكان متفوقاً فيها، لم يعمل بشهادته حماية واستمراراً للثروة التى تركها أبوه له ولأخواته البنات.

تزوج منذ سبع سنوات من ماتيلدا جارته التى أحبها ولم يحب سواها. لم يكن الحمل سهلاً مبكراً. ذهب إلى عيادات شهيرة، سافر بها إلى الخارج، وزار كثيراً من القساوسة، ونالت الزوجة التبريكات والدعوات. يتمنى أن يرى له ابناً أو بنتاً. تناولت كثيراً من العلاج وخضعت لعملية جراحية لإزالة ورم حميد بالرحم بعدها حملت بعشق زوجته. كفل لها كل سبل الراحة المادية والمعنوية. وضعها تحت رعاية طبية فائقة ومتابعة أسبوعية خوفاً على الحمل، إلى أن تكوّن الجنين، بشّره الطبيب بأنه أغلب الظن ولد وسوف يتأكد من ذلك فى الشهور المقبلة. الزغاريد ملأت البيت والشكر والامتنان للرب فلا فرق لديه بين ولد أو بنت.

العائلة كلها توافدت حتى البعيد من الأقارب يهنئونه ويباركون له هذا الحمل المرتقب منذ سنوات عديدة. حجز لها بأرقى المستشفيات وأغلاها حتى يضمن سلامة الأم والولد معاً. الطبيب

www.alkottob.com

طمأنه بأن الولادة سوف تكون بمشيئة الرب طبيعية. لاخوف ولاداعى للقلق. حدد لها تاريخاً معيناً. قبل هذا التاريخ بأيام قليلة ركبت المرسيدس مع سائقها متوجهة إلى وسط البلد لشراء مستلزمات المولود المرتقب. السيارة فى طريقها بشارع الجلاء، سمع السائق صيحة وصرخة عالية، داس على أثرها بدون وعى الهرامل فأحدث ارتجاجاً شديداً زاد من ألم وصراخ الزوجة. توقف السير فى الشارع، ونزل بعض ركاب السيارات التي وراءه يلومونه ويعنفونه على توقفه المفاجئ، والبعض الآخر أطلق للأبواق العنان احتجاجاً على التوقف المفاجئ وتعطيل السير فى هذا الشارع المزدحم.

المارة تجمعوا حولهما يسألون عما حدث. لقد جاءها المخاض فى هذه اللحظة. الألم شديد لاتستطيع مقاومته، لهذا كانت تصرخ، تحس أن أحشاءها تتمزق. همس طبيب من ضمن التجمع فى أذن السائق بأن الحالة خطيرة ولابد من دخولها المستشفى القريب منه الآن حفاظاً على حياتها وحياة المولود. الطيبون من الناس لم يدعوا السائق يفكر، حملوها وأدخلوها المستشفى. السائق يمسك بالمحمول يبلغ سيده بما حدث.

رومى فى مزاد كبير بالإسكندرية، جن جنونه، طار عقله، أعصابه لم تحتمل،لم يصدق ماحدث، صاح فى السائق ليتصل باخته على وجه السرعة، وإن كان هناك فرصة لإلحاقها بالمستشفى الفاخر المحجوز لها ليكن ذلك.مرت أكثر من ساعة إلى أن جاءت أخته الكبرى ممتقعة اللون تهرول، بعد أن وضعت زوجة أخيها مولودتها.لم تهتم بتواضع مستوى المستشفى، راحت تحمد الرب على أن الأم والمولودة بخير. طلبت أخاها تطمئنه وجدته على مشارف القاهرة، ترك صفقة هائلة من أجل زوجته وابنته. لم يستغرب بأن المولودة بنت لأن الطبيب شككه في أول صورة أظهرها " السونار ". يعرف أن زوجته كانت تتمنى بنتاً. فزاد ذلك من فرحته.

طبع قبلة حانية على جبينها ،وجهها باش، قسماته تبتسم من فرط السعادة والنجاة.طلبت منه أن يراجع الأوراق وينهي الإجراءات يتعجل الذهاب بها إلى المنزل. عرض عليها انتقالها للمستشفى الخاص، فرفضت تقول له إن الفرج كان حليفها وهذه مشيئة الرب. مكثوا عدة ساعات بالمستشفى أنفق خلالها الكثير على العاملين والعاملات دون بخل، أسموها " جاكلين ". العائلة كلها تتحدث عن ظروف الولادة وعن جمال البنت،يتندرون بأن زوجة رومى الثرى تسوّلت ملابس للمولودة.

اليوم السادس من الولادة حضر القسيس إلى منزل رومى. أحضروا له الماء صلى عليه " صلاة الطشت " تلا الترانيم المخصصة لهذه المناسبة. حمم المولودة بالماء، ودعا الرب أن يبارك فيها وفى اليوم الثمانين ذهبوا بها إلى الكاتدرائية لتعميدها،كما عمد يوحنا المعمدان السيد المسيح فى نهر الأردن. كان المغطس مجهزاً، وكذلك زيت النيرون المقدس الذى مسح به جسد الطفلة، وتمت الغطسات الثلاث. ألبسوها الثياب الجديدة البيضاء " ثياب التنصير"، أعقب ذلك زفة كبيرة من الشماسة،الترانيم والألحان والزغاريد تملأ القاعة يتقدمهم القسيس الأكبر. يتبادلون التهانى والتبريكات. الفرحة عارمة والكل يغنى. الشربات والشيكولاتة السويسرية الفاخرة تدور على الموجودين. أما ذوو الحظوة والمقربون فقد تم توزيع الجنيهات الذهبية عليهم مغلفة باسم جاكلين. مرت الشهور محملة بالسعادة والرضا. الأسرة حريصة على الصلوات فى يوم الأحد من كل أسبوع. ذات صلاة قابل رومى الطبيب سامى الذى كان يتابع زوجته خلال فترة الحمل، يعتب عليه سامى كيف سمحت له نفسه ان يحيل زوجته لطبيب آخر تلد على يديه رغم أنه كان يتابعها حتى بداية شهرها التاسع. قص عليه ماحدث لزوجته والظرف الاضطرارى، وكم كانت الخطورة على حياتها وحياة البنت. اندهش سامى، وسأله باستغراب : بنت إيه؟؟

www.alkottob.com

- بنتى جاكلين

- مراتك كانت حامل فى ولد.. إزاى بنت؟؟

- صدقنى.. جت بنت.. بس إيه زى القمر.. أحسن من الواد ميت مرة ياراجل.... كده أنا خلفت بنت وواد علشان لما ح تتجوز ح تجيب راجل يبقى زى ابنى.حارت عينا الدكتور سامى، يفرك جبينه بأصابعه، أصابه ذهول يتذكر تماماً أن الشاشة أظهرت فى الشهر الثامن أن الجنين ولد. التفت إليه يسأله :

- قلت لى مراتك ولدت فين؟؟

- ما أنا قلت لك يادكتور

اعتدل سامى فى وقفته يطلب منه معرفة تاريخ وساعة الولادة بمنتهى الدقة. أجابه رومى، دون ذلك فى ورقة صغيرة دسها فى جيبه. سلم عليه وهو ينصرف شارد الذهن يقول له سوف يكون لنا لقاء فى القريب العاجل.

الدكتور سامى بديع طبيب النساء الشهير، شخصية ليست عادية أو سهلة. يتسم دوماً بالنظرة الثاقبة والدقة فى عمله. الأمور لاتمر أمام عينيه سطحية، الكلمات التى يسمعها لا يصغى إليها بعفوية. كان فى طفولته مولعاً بالأفلام البوليسية، يهوى المغامرات. تمنى أن يكون يوماً ما وكيلاً للنائب العام أو ضابطاً بالمباحث. لكن تفوقه فى الثانوية العامة وحصوله على مجموع مرتفع جداً أغراه ووالديه بأن يلتحق بكلية الطب ذات الشهرة والثروة. استمر تفوقه فى كلية الطب طوال سنوات الدراسة حتى صار نائباً فمدرساً فأستاذاً يشار إليه بالبنان فى تخصصه.تذكر "ماتيلدا" جرم رومى، وكيف أن الشاشة والفيلم المطبوع أظهرا الجنين ولداً. يساوره شك، فى الأمر شيء، عششت الوساوس برأسه، يود أن يعرف الحقيقة مهما كلفته من عناء ومشقة.

يذهب إلى عيادته كل مساء إلا إذا استدعى لولادة مفاجئة. ممرضته السيدة " سميرة " فى خريف العمر، تركت العمل بالمستشفى الحكومى وتفرغت له. تحبه كابنها. ترعاه، وتخاف عليه

وعلى صحته من الإجهاد. يعطيها مرتباً مجزياً. " البقشيش " الذى تأخذه من المرضى يزيد من دخلها تواجه به نفقات عائلتها الكبيرة، تعرف كل شئ عنه وعن مزاجه ومتى يعمل أو لا يعمل، أوقات راحته. فنجان قهوته، علبة سجائره، ماذا يريد فى بداية عمله، وماذا يحب أن ينتهى به. تعرف حالته المزاجية من النظرة الأولى إليه.

حضر إلى العيادة مساء اليوم متجهم الوجه. ألقى عليها التحية وهو شارد الذهن على غير عادته. خلعت عنه سترته تسأله بقلق عما به. ربت على كتفها يسألها هل تتذكر مدام ماتيلدا حرم رومى؟ نظرت إليه بإمعان تؤكد له أنها تتذكرها وتستغرب لماذا لم يستدعوه فى ولادتها؟ فهو الطبيب المعالج المتابع.. أرادت أن تسترسل معه فى الحديث، قاطعها وطلب فنجان القهوة. فهمت من نظرة عينيه رغبته فى تأجيل الحديث عن هذا الموضوع إلى نهاية العمل حيث اليوم ملئ بالحجوزات. أدركت ذلك فانصرفت تلبى له طلبه.

انتهى من عمله فى وقت متأخر من الليل، ألقى بجسده على الأريكة منادياً ممرضته، جاءته تهرول، لم تكن عادته أن يناديها فور انتهائه من عمله مباشرة بل كان ينتظر بعض الوقت يدون فيه ملخص حالات اليوم،خشيت أن يكون به مكروه.

قدمت له شراب الينسون المحبب إليه، عله يريح أعصابه. شكرها وطلب منها البحث عن ملف مدام ماتيلدا، أشفقت عليه من الإرهاق، فاقترحت أن يدع هذا الأمر ليوم آخر يكون فيه أكثر راحة. استجاب لطلبها وانصرف ذاهباً الى بيته لينام. استيقظ فى الصباح، اطلع على " أجندة " مواعيده. وجد نفسه خالياً، تذكر على الفور الموضوع الذى يشغل ذهنه. قرر الذهاب إلى المستشفى، أخرج من حافظته قصاصة الورق المدون بها يوم ميلاد جاكلين وساعة الولادة.

أوقفه فرد الأمن الرابض أمام باب المستشفى ولما أفصح له عن

www.alkottob.com

هويته، حياه باحترام، وسمح له بالدخول·طلب مقابلةرئيس قسم الولادة، عرفه بنفسه فرحب به ترحيباً كبيراً، وقدم له مشروب الضيافة. سأله رئيس القسم عن سبب مجيئه ونوع الخدمة التى يريدها. أخرج الدكتورسامى الورقة من جيبه مشيراً إلى التاريخ وأنه يرغب فى إطلاعه بصفة خاصة على حالات الولادة التى تمت بكشك الولادة فى هذا التاريخ وهذه الساعة.

نظر إليه رئيس القسم مرتاباً متوجساً خيفة. لم يبد له ريبته مما طلب، أشار إليه بأن يشرب قهوته ريثما يتم البحث، واستسمحه بأن يذهب إلى الأرشيف ليحضر له البيان المطلوب.

عاد إليه بعد ربع ساعة تقريباً يعتذر له بأن الدفاتر داخل الأرشيف غير منظمة، وخاصة أنه قد مر نحو عامين، ووعده بمواصلة البحث والاتصال به حينما يجد ما يطلبه.

استشعر الدكتور سامى المراوغة، أكد له ذلك أن رئيس القسم قام بنفسه مدعيا ذهابه إلى الأرشيف، كان بإمكانه أن يدق الجرس، ويأمر الساعى بما يريد. لم يرد إحراج زميله، فسلم عليه وانصرف أكثر إصراراً على معرفة الحقيقة.

لم يستطع الانتظار حتى موعد عيادته المعتاد، فاتصل هاتفياً بممرضته، وطلب منها الذهاب إلى العيادة وإحضار ملف مدام ماتيلدا على وجه السرعة إلى البيت.

بعد وقت قليل كان الملف بين يديه، قلب صفحاته نظر إلى خانة نوع الجنين. وجد كلمة " ذكر " مكتوبة بخط يده. من عادته لو تشكك فى النوع يضع علامة استفهام ويكتب : غير مؤكد. أعاد النظر إلى الفيلم تحت الضوء تأكد من ذكورة العضو التناسلي، أغلق الملف بعصبية. سميرة تحاول أن تهدئ من روعه، استحلفته أن يحكى لها مايدور بخلده، وماهى حكاية هذه السيدة التى تشغل باله. حكى لها وباح بشكوكه ووساوسه، وجزم لممرضته بأن هناك من بدل بالولد بنتا ولابد له من كشف المستور. فالأمر خطير جداً

جلست سميرة أمامه. وبهدوء السيدة الوقور العاقلة والأم التى

تشفق على ابنها من عناء البحث شرحت له بأن متابعة هذه الأمور والحصول على هذه البيانات لاتكون عن طريق ذوى الوظائف الكبيرة. ذكرته بأنها عملت فى هذا المستشفى أكثر من عشر سنوات وأنها تعرف دهاليزه، وكيف تحصل على ماتريد من بيانات، رجته أن يترك لها هذا الأمر فهى تعرف تقريباً كل القدامى الذين يعملون بهذا المستشفى. وعدته·· لن تمر سوى أيام قليلة بعدها سيكون أمام عينيه البيان المطلوب.

الدكتور سامى بديع يثق ثقة عمياء فى ممرضته السيدة سميرة، يعرف أن لها قدرات خاصة، لايستعصى عليها أمر ما. أكثر من مرة استعان بها فى حل مشكلات وكانت تأتى بنتائج مذهلة. يعيبها بأنها "حشرية" لكنه يحبها ويعلم أنها تحبه. لايبخل عليها بمال وهى لاتبخل عليه بجهد أو مشورة. تكبره كثيراً فى السن ينظر إليها كأم. أعزب، لم يلحق بقطار الزواج. ساعده على ذلك علاقاته النسائية المتعددة وربما قرفه وزهقه من دلع السيدات وكثرة ما يراه كطبيب للنساء. لديه شك يتاخم اليقين بأن ابن ماتيلدا قد استبدل. يود أن يمسك الخيط من أوله وساعده الأيمن فى ذلك ممرضته، التى وعدته بأن البيان الذى طلبه سيكون تحت يديه فى أيام قليلة.

ذهبت إلى مستشفى الولادة. قوبلت بترحاب كبير بداية من البوابة وحتى قسم الولادة. لم تكف عن التسليمات على معظم العاملين والعاملات. يتذكرونها بالخير فلم تكن من الشخصيات المقيتة أو المكروهة لديهم. تركت ذكرى طيبة حين مغادرتها المستشفى لتعمل متفرغة للدكتور سامى بديع. تمشى، تصعد السلم، توزع القبلات على كل من يعرفها. ذهبت إلى كشك الولادة تسأل عن رئيسة الممرضات أخبروها أنها " الحكيمة " عطيات·· فرحت لأنها تعرفها جيداً. سألت: وأين هى؟ أفادوها بأنها فى إجازة لمدة أسبوع بمناسبة زواج ابنتها الأخيرة. تعرف أنها من قاطنى حى الحلمية الجديدة،سألت عن عنوانها قالوا إنه لم يتغير

www.alkottob.com

وذكروها به.

استقلت التاكسى ذاهبة إلى الحلمية الجديدة. لن يهدأ لها بال إلا إذا قابلتها. تعرفها منذ بدايات العمل، وكم كانت ذات أطماع، فهي محرومة من المال، تنظر إليه بشراهة، نشأت وسط أسرة فقيرة،عانت كثيراً من شظف العيش، وتنظر بحقد إلى كل صاحب مال. لذا فإن المال هو مفتاحها فى أى شيء. الغاية لديها تبرر الوسيلة مهما كانت. وقف التاكسى أمام عمارة قديمة، وقد تعرت بعوامل الزمن، فظهر الطوب الأحمر بالواجهة بعد أن سقط الطلاء عنه وإن احتفظت بالمشربيات التى تميز شرفاتها.

الشقة بالدور السادس (الأخير)، المبنى من الطراز القديم، الأسقف فى هذا الزمن كانت مرتفعة تعلو معها درجات السلم. بئر السلم مساحة ضيقة جداً يعيش فيها البواب العجوز الأحدب الأثرم. يبدو أن عمره ضعف عمر هذه العمارة، وكأنه يرفع الأدوار الستة على ظهره حتى انحنى. سألته عن السيدة عطيات فأشار بيده إلى أعلى بما يعنى أنها فوق. ألحت عليه فى السؤال لتتأكد من وجودها خشية أن تصعد ستة أدوار دون جدوى. بكلمات يقطعها السعال المتلاحق يؤكد لها وجودها وأنها لم تنزل منذ صباح هذا اليوم.

الدور السادس والأنفاس متهدجة، تلهث كأنها تجرى فى سباق محموم، تدق الجرس مرتكنة على باب الشقة. تشعر بأن رجليها لاتقويان على حملها. خائرة القوى تزيد من دقات الجرس. إلى أن فتح الباب. لم تعرفها عطيات من الوهلة الأولى. سألتها ماذا تريد وعمن تسأل؟ طلبت منها أن تدخلها أولاً لأنها فى حاجة إلى الراحة من صعود السلم العالى، وسوف تعرفها بنفسها، أذنت لها بعد أن تشككت بأنها تعرف هذا الوجه ـ انت مش عرفانى؟

ـ مش واخده بالى

راحت عطيات تدقق النظر برهة. تهلل وجهها بشراً وانفرج سعادة. تصيح : إنت سميرة.. إنت سميرة، جذبتها تحضنها

وتقبلها بحرارة فائقة. هدأتا وأحاط الدفء اللقاء الودود.

كانتا متحابتين طيلة فترة عملهما معاً رغم اختلاف طباعهما. أعادتا ذكريات الماضى وحلاوة سن الشباب وشقاوته. تبادلتا الأسئلة المعتادة فى مثل هذه اللقاءات البعيدة، تحكى كل للأخرى ما هى عليه الآن، وماذا فعلت بها كل هذه السنين الفائتة. الاثنتان راضيتان. لاحظت سميرة أن أثاث الشقة يدل على حياة مترفة يختلف تماماً عن المظهر الخارجى للعمارة العتيقة. الأثاث فاخر والأجهزة الحديثة تعلن عن يسر حالة صاحبتها. وعندما لاحظت عطيات عينى سميرة تجوبان أرجاء الصالة تبديان انبهاراً واعجاباً، قامت من جلستها بغرور تطلب منها أن ترى الحجرات المغلقة، تفخر بمفروشاتها ومقتنياتها.

أعجبت سميرة بماشاهدته، سألتها بخبث : هل كل هذا من دخل الوظيفة؟؟ أجابتها : والفهلوة أيضاً. عادت بها الذكريات إلى بداية تعارفهما، وكيف أن عطيات كانت ناقمة على قلة دخلها، تعانى من فقرمدقع، كم كانت تتمنى أن تكون غنية،حاولت كثيراً أن تصطاد رجلاً غنياً، لكنها لم تغنم بذلك، ولما يئست تزوجت شاباً فقيراً مثلها. أثارت حفيظتها كلمة الفهلوة، ماذا تعنى بها؟؟ أسرَّت فى نفسها شيئاً لم تبده لها.

تنبهت عطيات إلى أنه قد مر وقت دون أن تسألها كيف عرفت عنوانها وسبب مجيئها. طلبت منها الجلوس. عرفت عنوانى منين؟

ـ انت ناسية إنى كنت عارفة عنوانك زمان بس قلت يمكن غيرت الشقة علشان كده رحتلك المستشفى وسألت عنك قالوا إنك فى أجازة علشان بنتك الصغيرة بتتجوز..على فكره ألف مبروك. فكرونى بعنوانك وجيت أباركلك وأعيد معاكى ذكريات زمان

ـ أهلاً بيكى، شرفتينى. وعقبال عندك. وإنت عيالك فين دلوقت؟

ـ إتجوزوا زى حالاتك، وبقيت عايشة وحيدة. آهو بنربى العيال وفى الآخر يسيبونا.

www.alkottob.com

ـ دى سنة الحياة ياأختى.

قامت عطيات إلى مطبخها لتعد لها كوباً من العصير بعد أن سألتها عن النوع الذى تحبه، فضلت أن تشرب القهوة.

شرد فكر سميرة.. هل تفاتحها فى الموضوع أم تتريث، لم تسترح لصديقتها، لم تغير فكرتها عن ذى قبل.لكنها جاءت لمهمة أخذت على عاتقها إنهاءها، ماذا تقول للدكتور سامى. تعلم مدى ثقته فيها، تود ألا تخذله، وأن تحافظ على مكانتها عنده. يهمها أكثر من أى شيء آخر. لابد لها أن تبدأ البحث، على الأقل تعرف هل سيكون عن طريق عطيات أم غيرها. إرهاصات فى صدرها وهواجس فى رأسها. تتصارع رغبتها فى الوصول إلى الهدف، وتخشى أن تبدأ بداية خاطئة يضيع معها الخيط. ويصعب عليها الإمساك بآخر، قررت مصارحتها وهى تشرب فنجان القهوة.

ـ عايزه منك خدمة يا حبيبتى

ـ تحت أمرك.

ـ فيه يوم معين وساعة معينة يهمنى أعرف كل حالات الولادة فيها.

تجهم وجه عطيات، وغلظت قسماته، اعتدلت فى جلستها تسألها عن السبب، وماذا يعنى لها ذلك؟

قالت إنها تعمل لدى طبيب مشهور كان يتابع إحدى حالات زوجة صديق له، وهى سيدة ثرية اكتشف أنه لم يستدع لولادتها وتحجج زوجها بأن الولادة كانت مفاجئة، أدخلوها المستشفى الذى تعملين به، ووضعت مولودتها،يود أن يعرف الحقيقة حتى يتأكد من صحة رواية صديقه.

تظاهرت عطيات باللامبالاة، وكيف أن هذا الأمر سهل جداً، وطلبت منها معرفة التاريخ والساعة، فلما أخبرتها بهما. بدا عليها الارتباك، تحجرت عيناها. لم تنس هذا التاريخ وهذه الساعة.

لم تستطع عطيات إخفاء ما اعتراها من ارتباك وتغيير لا إرادى لقسمات وجهها واصفرار لونها خوفاً مماسمعت. بحركة لاشعورية

قبضت يدها تصافح ضيفتها رغبة فى إنهاء مبكر للقاء. العينان هائرتان والفكر شارد هارب. معها وهى ليست معها !

استجمعت بصعوبة بالغة مجامع عقلها حتى لاينفضح أمرها فدعت للزائرة أن الأمر بسيط، سوف تحقق لها طلبها حال عودتها فى إجازتها وممارستها عملها، وحتى لايساورها شك فيما تقوله : طلبت منها رقم هاتفها. كتبته بيد مرتعشة تود أن تصرفها بسرعة لتسترخى كى تفكر بهدوء. تأملت سميرة وجه عطيات وحركاتها اللاشعورية. والتغيرات التى لاحت بوضوح حينما ذكرت لها يوم الولادة. تقف قبالتها تحاول أن تلتقى عيناها بعينى عطيات لتكشف الأمر، فهى تعلم بأن الجانى لايستطيع إطالة تدقيق النظر خوفاً من أن تفضحه عيناه، وهذا ماركزت عليه. لكن عطيات لم تعط لها الفرصة وأرخت جفنيها تغير الحديث والنظرات، تدعى بأنها سعيدة لزيارتها، وتعدها بلقاء آخر فى وقت قريب. طبعت قبلة سريعة على خديها لتنصرف. تتلكأ سميرة وهى تودعها مزيداً من الضغط على أعصابها، تعلم فى قرارة نفسها بأنهاكاذبة، وانها ليست سعيدة لهذه الزيارة المفاجئة، وتتمنى ألا تراها مرة أخرى. خبرتها العريضة فى مثل هذه المواقف علمتها أن الجانى تظهر علامات فعلته على وجهه مهما كانت مهارته وجسارته. برئت السلم بتؤدة، لديها اقتناع ربما يكون تامًا بأن شكوك الدكتور سامى فى محلها، وترجح هى بأن عطيات لها علاقة بهذا الموضوع. تعرفها منذ بدايات حياتها الوظيفية، شخصيتها تضعف أمام إغراء المادة. قد تكون ضالعة فى ارتكاب الجريمة. آثرت فى نفسها ألا تدع الأمر يمر سهلاً،سوف تتابعه. أغلقت عطيات الباب. ارتمت على الكرسى تضع رأسها بين راحتيها. تعيد ذكريات هذا اليوم المشئوم. يجب عليها أن تأخذ حذرها كاملاً، رغم أن التبديل أجرى فى الوقت الذى يصعب على أى أحد إثباته. الإسورة الملفوفة حول المعصم وبصمة القدم دبرتا بإتقان فى الوقت والمكان المناسبين.

www.alkottob.com

صوتها الداخلى يعلو، لاتوجد جريمة كاملة، ترتعد فرائصها. المجرم لابد أن يترك وراءه ما يشير إليه حتى لو بعد حين، يقشعر بدنها. الصورة المفزعة تمر أمام عينيها وقد أحاطت بيديها الأساور الحديدية، ربما تصل عقوبتها إلى حد الإعدام، لم لا؟ الجريمة تضاعفت حينما اختلطت الأديان، من سيكيل لها التهم. هؤلاء أم هؤلاء؟كل فريق يود أن يفتك بها. صنعت بجريمتها مشكلة عويصة يصعب حلها. الحبل حول عنقها، وكل فريق يشد الحبل من طرف لتزهق روحها ملعونة. تفيق من كابوس سخيف، تدخل على إثره الحمام لتأخذ حماماً بارداً علها تهدأ وتفكر فيما ستفعله. أمسكت بالهاتف تطلب صديقتها العرافة. ترجو لقاءً سريعاً وهامًا بإحدى الحدائق العامة. اللقاء فى ركن منزو بعيداً عن أعين الناس، لم يكن ودوداً أو حميماً. بدت عصبية متوترة تحكى لها عن الزيارة الغريبة المفاجئة وما دار خلالها. المنجمة تصغى باهتمام زائد، لكنها لم تتأثر بما تسمع. ذات قلب ميت. بعد أن أفرغت عطيات مافى جعبتها من مخاوف وهواجس وتخيلات. طلبت المنجمة أن تعطيها أذنيها، وأن تهدئ من روعها. تهمس : لماذا كل هذا التخوف؟، يد القانون لن تنالك بأية حال. يصعب إثبات التزوير الجسدى مادامت الأوراق الرسمية صحيحة. ضحكت ضحكة عالية تستهزئ منها ومن ضعف قوتها، وتقول لها إن الصيد صار أثمن، وبدلاً من أن نأكل سمكة واحدة سنأكل سمكتين. لم تفهم عطيات للوهلة الأولى ماتقصده صاحبتها بهذه الكلمات. المنجمة تواصل ضحكاتها وسخريتها من الأعصاب المهزوزة، وتشرح لها كيف سبق أن فكرت وتفكر فى اللعب على الجانب الآخر. قامت عطيات من جلستها مستنكرة ما تفكر فيه صديقتها خوفاً من زيادة الطين بلة، مقتنعة بأنها شيطانة كبيرة. الصديقة تشدها من فستانها، ترجوها الجلوس مرة أخرى وإجراء مزيد من التفاهم على يقين بأنهما سيلتقيان عند نيل النقود.

المال العنصر المحرك المؤثر لدى عطيات. يزيل المخاوف

والتخاريف، تُضيّع معه كل المبادئ والمثاليات، تعرف المنجمة أنه نقطة ضعفها، طلبت رقم الهاتف الذى أخذته من الممرضة سميرة، وسوف تقوم بوضع خطة جهنمية لكسب مزيد من المال الحرام، خاصة أنها عرضت على الحاجة يسرية أن تخطف جاكلين ولم تحبها واتهمتها بالجنون. ولما أعادت عليها فكرة الخطف مرة أخرى رفضت يسرية بشدة ونهرتها فى آخر محادثة تليفونية لها. استطردت فى حديثها بأنها كانت تنوى أن تبدأ عملية الابتزاز من ١٢ ش مسرة بشبرا، لكنك جئت بالخطة على طبق من فضة لنبدأ اللعب مع الممرضة سميرة. اقتنعت، وأعطت لها رقم الهاتف، وافترقتا. دق جرس التليفون، سمعت على الجانب الآخر " هنا عيادة الدكتور سامى بديع طبيب النساء ". طلبت منها أن تحجز لها هذه الليلة، حالتها لاتحتمل التأخير فهى تعانى من آلام مبرحة. اعتذرت سميرة برقة، أول موعد متاح بعد أسبوع. ألحت عليها بأن حالتها لاتسمح، وعلى استعداد بأن تدفع " كشف مستعجل ". وبعد مناقشات وحوارات وافقت أن تحجز لها الليلة القادمة بعد منتصف الليل. سعدت المنجمة بذلك، شكرتها على رقتها وتقديرها لظروفها. خفت العيادة قليلاً بعد منتصف الليل، أتت بثياب أنيقة وتزينت بقليل من المساحيق، وبكلمات وقورة عرّفت سميرة بنفسها، فاستقبلتها بترحاب. دفعت لها قيمة الكشف ومبلغاً كبيراً كإكرامية مقابل رقتها ومعروفها.

الطبيب يعمل، والممرضة تتسامر معها. أكثر من ساعة حتى يحين دورها. تطرقا لكثير من الموضوعات، قالت لسميرة : إنها ماهرة في قراءة الفنجان. طلبت منها رداً للجميل أن تشرب فنجاناً من القهوة لتقرأه لها. رحبت سميرة بذلك على سبيل التسلية. شربت وقلبت الفنجان. بعد قليل تناولته بيدها، وبدأت تنظر فيه بامعان تارة، وفى وجه الممرضة تارة أخرى. تبدي دهشة وسميرة قلقة تود أن تعرف سر دهشتها.

قالت لها :

www.alkottob.com

- فنجانك غريب قوى

- إزاى؟؟ -

- انت بتدورى على مفتاح فى بحر.. ورحت فى مكان تدورى عليه، فيه واحدة ح تفيدك.. لكن مش ح تفيدك قوى. صمتت، مال الفنجان فى يدها يمنة ويسرة. سميرة التي أصابها الذهول لسماعها هذا الكلام قامت من على الكرسى تضرب بكفيها على المكتب خشية إزعاج المرضى، وهي تقول :

- صح.. والعدرة ده صح... الكلام اللى بتقوليه صح معقول كل ده باين فى الفنجان. نظرت إليها وقد تملكت من فريستها، واستحوذت على عقلها، وأيقنت أن الصيد فى الشباك، فواصلت كلماتها

- باين حاجات كتير... بتجرى ورا...

لم تكمل كلماتها فقد رن جرس الطبيب ومساعدته تناديها للكشف.. الطبيب يسأل :

- خير ياستى بتشتكى من إيه؟

- امبارح يادكتور مغص شديد قوى ومش عارفة سببه.

- الدورة منتظمة معاكى؟

- لا.. متأخرة عشرة أيام، ونفسى أكون حامل يادكتور !

نادى الممرضة، أمرها بأن تأخذها لتجرى لها اختبار الحمل، وتطلعه على النتيجة. تحاول الممرضة أن تستدرجها لتكمل لها ما أظهره الفنجان، وهى تراوغها لتتركها على شوق وقلق. ظهر التحليل سلبياً، وصف لها الدواء، وهمت بالانصراف، استوقفتها سميرة تطلب منها رقم هاتفها، لتلقاها مرة أخرى خارج العيادة لأنها منبهرة بفراستها.

الفصل الثالث

أوشك الفجر أن يزيح الليل، وخلت العيادة من المرضى كأنها سوق انفض لم يبق فيه إلا صاحبه. اعتادت سميرة فى مثل هذه الليالى المزدحمة أن تفتح نوافذ العيادة تغير هواءها الذى تلوث برائحة غير محببة. تلملم المخلفات من مناديل الورق وأعقاب السجائر. الدكتور سامى بديع يخلع البالطو الأبيض والقفاز الشفاف من يده. يرتمى على " الفوتيه " يلتقط أنفاسه من إرهاق يوم عمل. تعد له سميرة كوباً من مشروبه المفضل فى هذا التوقيت. تواصل عملها المعتاد تمهيداً لإغلاق العيادة. تجلس معه فى غرفته يراجع عمل اليوم، يأمرها بإعداد ملفات للمرضى الجدد وإضافة ملاحظاته وتقاريره للمرضى الذين يتابعهم. عمله منظم دقيق يهتم بأرشيف مرضاه وكأنه جزء من حياته، بل أحد مؤلفاته العزيزة. استوقفته سميرة عندما جاء ذكر المريضة التى نجمت لها بالفنجان. حكت ماحدث، الدكتور يسمع باهتمام شديد. استل سيجارة من علبته الفاخرة. أمسكت بالقداحة تشعلها، ربت على يديها يقول إنها متمارضة، لم أجد أنها تعانى من شيء .أغلب الظن أنها جاءت لهدف آخر .أرجوك أن تعيدى علىّ ماحدث. أعادت فتنهد، وقال : هذه السيدة وراءها سر غريب ربما

www.alkottob.com

نكون طرفاً فيه، إما أن تقصدك أنت أو تقصدنى أنا، هل أخذت عنوانها أو رقم هاتفها؟ أعتقد أننا بحاجه لذلك. سميرة تعيد ترتيب الأوراق على المكتب، تقول وهى منهمكة فى أداء عملها : لقد دونت تليفونها، وطلبت منها لقاء آخر خارج العيادة. نظر إلى المرآة يصحح ربطة عنقه، يرتدى سترته، ويودع ممرضته، ويؤكد لها ألا تنسى هذا الموضوع ربما يكون له ارتباط بماتيلدا وابنتها جاكلين.

زجاج السيارة مفتوح. نسمات هواء الفجر الباردة تداعب شعر رأسه الكث الرمادى. جبينه بارد رغم شهور الصيف القائظة. الشوارع خالية والإضاءة خافتة مريحة للنظر والأعصاب معاً. قلبه خاو مثلها. تمنى أن تكون شوارع القاهرة هكذا فى كل الأوقات. لم يؤمن بالزواج ومن ثم الإنجاب حباً فى استمرار حريته.

هذا رأيه فى حياته٠ كان يقول دائما لأقرانه المتزوجين إنهم بالقطع يحسدونه على ماهو فيه، ويتمنون أن يكونوا مثله. يتذكر ردهم عليه بأنه سيندم فى خريف عمره عندما يجد نفسه وحيداً دون ونيس. عادت به الذكريات والهواء العليل يتخلل صدره ينجذب تارة مع لحظات ندم، وتارة أخرى مع لحظات رضا. إنها حياته الخاصة وهذا اقتناعه مادام لم يؤذ أحداً فهو راض تمام الرضا، يكفيه أنه متحرر من قيود الزوجية التى طالما خُنقت المتزوجين، ولم يتحمل مسئولية الأبناء الذين يكونون مصدر قلق لآبائهم.

فتح باب شقته، سمع صرير الهواء من إحدى النوافذ التي نسى أن يغلقها قبل خروجه. اليوم إجازة الخادمة. لابد له أن ينسى شيئاً ما. حمد الله على ذلك. جالت عيناه بأرجاء الشقة الرحيبة وتلك الجدران الصامتة المزدانة بالصور والتحف.هذه اشتراها من باريس، وتلك من نيويورك والبندقية من نابولى. من

المرات القليلة التى شعر فيها بالملل لماذا؟ وسواس الندم داعبه كثيراً هذه الليلة؟ الليلة أحس بالوحشة٠ضغط على زر المسجل بعصبية لينطلق صوت أم كلثوم " لسه فاكر كان زمان " هل يفكر فى الزواج. وفى مثل هذاالعمر؟ ٠ لا ٠٠لا ٠٠ إنها سخرية القدر. لا يفهم لسان القدر الصامت ولكن أين يذهب من ألسنة أنداده؟.

طرد كل الهواجس من صدره وعقله. خلع ملابسه وارتدى "البيجاما" ألقى بجسده المتهالك على السرير. يدور شريط اليوم بخلده٠ توقف عند تلك المتمارضة التى قرأت الفنجان لسميرة. قرر أن يستعجل سميرة لمقابلتها لتعرف مقصدها وهويتها وهل مايحدث به نفسه صحيح أم لا؟٠ لايعترف بالتنجيم،كلهم كاذبون. كلامهم رجمٌ بالغيب قلما يصيب، وكثيراً مايخطئ.

سميرة تتقلب على السرير، تفكر فى كلام الدكتور سامى بأن التى قرأت فنجانها متمارضة، تستغرب، لقد ألحت عليها بكشف مستعجل.٠٠ هل كانت تمثل؟ ما الهدف من وراء ذلك؟٠ ذكرت أنها رأت فى الفنجان امرأة ذهبت إليها .لابد إذن من علاقة ما بينها وبين عطيات. تضع الوسادة فوق رأسها لتنام والنوم يجافيها، فالبال مشغول. ابتلعت قرصاً منوماً.

استيقظت فى الظهيرة مرهقة متعبة، كأنها لم تنم ساعة واحدة. تتثاءب. تلعن الفكر فى موضوعات لاتمثل لها أهمية كبيرة. ولولا شغف الدكتور سامى بمعرفة الحقيقة لما أعارت ذلك أهمية ولهدأت فى سريرها وعلا شخيرها.

اتصلت بها. ردت عليها. تعارفتا. رحبت بمكالمتها ترحيباً غير عادى،كأنها تعرفها منذ زمن طويل، طلبت مقابلتها على وجه السرعة لقيت منها استجابة فورية. الموعد عند غروب الشمس بمحلات جروبى بميدان سليمان باشا.

اللقاء حميم، تبادلتا القبلات. سميرة كأنها تجلس على وهج من

www.alkottob.com

نار، تدارى قلقها وشوقها لمعرفة كنه محدثتها.. تداعبها وتسألها : هل تودين أن أقرأ لك الفنجان مرة أخرى؟ ترفض سميرة بابتسامة مصطنعة، تستجمع قوتها لتقول لها إن الدكتور سامى ينعتك بالتمارض وأن مجيئك العيادة كان لغرض آخر.

اعتدلت العرافة فى جلستها وأخرجت من حقيبتها مرآتها الصغيرة " وقلم الروج ". تعيد رسم شفتيها، ترد عليها وهى مشغوله بمكياجها. هذه حقيقة، لم أكن مريضة. تغيرت تضاريس وجه سميرة مندهشة لصراحتها، أمسكت بيديها: لماذا جئت إذن؟.

تعرفين المرضة عطيات؟؟.. تحجرت عينا سميرة، وكأنها لكمتها فى مقتل. تصمت العرافة عن الكلام تتفرس وجهها، تلاحقها بنظراتها. أستاذة ماهرة فى اللعب بأعصاب غريمها. سميرة يتأكد لها صدق تخمين الدكتور سامى.. ياله من حصيف، لم يخطئ. تسترسل العرافة فى حديثها، تسألها : من كلفك بالبحث عن مواليد هذا اليوم؟.قالت لها الدكتور سامى بديع. طلبت منها أن تحدد لها موعداً معه، سوف تكون ساعده الأيمن فيما يطلب. تخبرها بأنها لن تنال هى ولا الدكتور سامى من عطيات شيئاً لأنها جبانة..سأكشف له كل شيء ولكن "مهرى" غالى. فهمت سميرة ماتهدف إليه، وقالت : الدكتور سامى سيرحب بلقائك.

ازداد زهواً وخيلاء بنفسه حينما أبلغته المرضة سميرة بأن ماتوقعه كان صحيحاً. تحدد الموعد سريعا. حينما رآها ابتسم يداعبها بسؤاله عن موضع الألم ومِمَّ تشكو؟ أرخت عينيها خجلاً مصطنعا، تصارحا فيما يطلبان.

عرف أنها البطل الرئيسى فى القضية وأن كل شيء تم على يديها. قال لها : " إن مايهمنى الآن معرفة أين ذهب الولد؟ ومن أبواه الآن؟ " نظرت إليه بدلال وحرفية تقول له : إن الثمن غال

فهل لديك استعداد؟

بالطبع لدي استعداد. الحقيقة الضائعة تستحق بل تستوجب أن ندفع مقابلها أي مبلغ تريدينه، نظرت إليه بخبث امرأة متمرسة وطلبت منه أن يكون اللقاء غداً، توافيه بالمعلومات ويوافيها بالمعلوم. طلبت منه مبلغاً من المال. لم يساوم، وافق على الفور. المقابلة ستكون بجروبى سليمان باشا بعد غروب الشمس مباشرة حتى لاتتأخر عن عيادتك. تردد الدكتور سامى بادئ الأمر حيث المكان مألوف للعامة. ربما يضعه فى موضع شبهة من نوع آخر. لكنه عاد ووافق.

غمزت بعينها وهى تسلم عليه تودعه وداعاً مؤقتاً.تعمدت أن تدع يدها متشابكة بيده برهة،أحس بحرارتها ونعومتها معاً. تفحص عينيها التى تفضحها وتبوح بسرها. تلاقت النظرات المريبة، ريبة الرغبة المحرمة. أعجبتها رجولته ووسامته المتوجة بالشعر الرمادى اللامع. أعجبته أنوثتها وعيناها الناعستان. خبرته الطويلة العريضة التي حوت تجارب الخمسين عاماً من الزمن مكنته من معرفة متى تكون المرأة راغبة ومتى تكون زاهدة. التى أمامه من النوع الأول.

صحيح أن لديه صفقة جادة معها يهمه أن يتمها، غيرة منه على مهنته ودينه فهو لم يعرف حتى هذه اللحظة مع من تبدل الولد، يحاول جاهداً تصحيح الأوضاع مدركاً خطورة الجريمة التى نفذت بإتقان. الوقت يجرى. جاكلين أرمانيوس تجاوز عمرها الآن العامين وكذلك الولد المغلوط. على يقين بأنه كلما طالت المدة تعذر وجود الحل، يعرف كطبيب أن المرض فى أوله سهل ومداواته أمر يسير، يستجيب للعلاج بسرعة. أما إذا تأخر واستعظم وتملك من الجسد أصبح صعب العلاج وصار من الحالات الميئوس منها.لذا كان حريصاً كل الحرص على أن توافيه

www.alkottob.com

العرافة بالمعلومات المؤكدة على وجه السرعة ليبدأ البحث ثم العلاج.

أمعن النظر وهى تودعه، تولد لديه شوق عارم فى تذوقها كنوع ربما يكون جديداً عليه. لم تخدعه ملابسها وأناقتها المزيفة. الملابس والألوان تساير الموضة تداري عجريتها، لكنه يعرف هذا النوع من النساء. أحست بأن نظراته ثاقبة مليئة بالشهوة تنفذ إلى داخلها. العيون واسعة كعيون المها، والشعر الأسود الطويل المجدول فى ضفيرة واحدة تتخطى خصرها بقليل وكأنه لم ينله مقص قط. لم ينظر إليها الدكتور سامى هذه النظرة فى عيادته لأنه جادٌ فى عمله، يحترم مهنته والقسم الذى أداه عند تخرجه، لكنه اليوم خارج الخدمة كما يقولون، لابأس أن يمارس حياته بما يهوى، فلم يزل ولوعاً بالنساء محباً للجنس، تمناها، شجعه على هذا التمنى تلك الميوعة والرغبة اللتان رآهما فى عينيها. سولت له نفسه أن يصارحها برغبته فى حينه، لكنه تذكر الصفقة، عاد إلى رشده فهى الأهم على الأقل فى الوقت الحالى.

تلفت يمنة ويسرة وهو فى طريقه إلى المكان الموعود. يخشى أن يراه من يعرفه فيظن به سوءاً. رآها من بعيد تجلس على منضدة فى ركن من المحل وكأنها تخشى مايخشاه، اتجه إليها بخطوات مهزوزة، وبيده الحقيبة وبهاالنقود حسب الاتفاق.ألقى عليها التحية بجدية،ردت بابتسامة،تدعوه للتفضل بالجلوس. تنظر إلى الحقيبة واللعاب يسيل، تبتسم بنشوة النصر، بعد قليل سوف تظفر بما تريد.

جاءهما النادل على استحياء ظنا منه أنهما حبيبان أو هكذا علموه أدب المداخلة. انحنى بابتسامة، سمع منهما٠ دَوّن مايريدان، وانصرف بأدب جم٠٠٠ أعطاها حقيبة النقود، أعطته مظروفاً مغلقاً ففضّه أمامها.

اسم الولد : حمادة عبد العال، والده معلم كبير بوكالة البلح، أما اسمها يسرية محمد، السكن ٢٦ شارع النباتات جاردن سيتى. لفظت قسمات وجهه وبنظرة جادة سألها عن عطيات، وهل يمكن لها أن تعترف بما ارتكبت؟.

نطقت جازمة بأن هذا لن يحدث أبداً، عطيات حريصة فى تزويرها. إضافة إلى أنها جبانة. لن تستطيع أن تثبت رسمياً عملية التبديل. هذه المعلومة يجب أن تعيها جيداً، وتبنى عليها حساباتك.

دس المظروف فى جيبه وتناساه، ليتفرغ إلى مزاجه الخاص والهدف الآخر الذى يسعى حثيثاً إليه أمسك بيديها، يرمقها بنظرة مشحونة بإعجاب غريزي. يحوى يديها بكفيه، رفعهما بلثمهما بقبلة يعتذر بأن موعد عمله قد حان، ولكنه يرغب فى أن تقرأ له الفنجان.٠٠ ليس هنا بل فى شقته الصغيرة. أخرج ورقة من حافظته٠سطر عليها العنوان أعطاها لها، وقال : " غداً يوم إجازتى، في انتظارك العاشرة مساءً.٠٠ " لم تعترض، أومأت برأسها دليلاً على موافقتها.

ذهب إلى العيادة فى موعده، قابلته سميرة بوجه باش، المرضى فى انتظاره، دلفت وراءه وأغلقت الباب، تخلع له سترته، تلبسه البالطو الأبيض يقول لها : اليوم كان مثيراً للغاية، فلقد عرفت أين الولد ابن رومى ومع من يعيش، تنصت إليه باهتمام، سألته وماذا بعد؟

- سأطلب لقاء رومى
- هل ستصارحه بالحقيقة؟
- نعم.٠٠ ولماذا كل هذا البحث.٠٠ لقد دفعت مبلغاً كبيراً.
- المفاجأة قاتلة.٠٠ هل سيصدقك؟
- أتمنى أن يستوعب الموقف.٠٠ أعرف أن الموضوع صعب للغاية.

www.alkottob.com

- المشكلة عويصة.
- أدرك ذلك.
- هل فكرت فى ماتيلدا؟ وماذا سيكون وقع الخبر عليها.
- من المحتمل ألا يصدقونى.

انتهى من تغيير ملابسه، دخلت المساعدة التى ترافقه أثناء عمله لتجهز الأدوات ليبدأ مقابلة مرضاه.

انتهت عيادته كالمعتاد. غداً إجازته الأسبوعية تقاليد يوم الإجازة مقدسة لديه. يبدأ بالإفطار غير التقليدي ليس كباقى أيام الأسبوع حيث تعد له الخادمة الفول المدمس بالزيت الحار والليمون والطعمية الساخنة وبجانبهما شرائح البصل المبلل بالخل الأبيض. بعد الإفطار يتوجه إلى النادى ليقضى وقت الظهيرة بالسونا وحمام السباحة، وفى الليل سهرة مع الأصدقاء، لكن هذه الليلة موعده بـ " الجارسونيرا " للقاء تلك العرافة الجميلة. هل تصدق فى موعدها؟. نظرته لاتخيب. سوف تأتى.. هكذا تحدثه هواجسه. على أية حال يجب أن يذهب قبل الموعد بساعة على الأقل ليعد للسهرة كما يحب، وبصحبته زجاجة الويسكى " والمزة " أما عن الثلج فمتوافر بالثلاجة. يرسم لليلة شديدة الاحمرار.

رآه بواب العمارة وهو ينزل من سيارته وبيده لفافة كبيرة، جرى نحوه مهرولاً. فمثل هذه الليالى ينتفخ فيها جيبه، أخذ عنه اللفافة، ومشى أمامه بخطوات واسعة يستدعى المصعد. أوصله حتى الشقة، وقبل أن يدلف إلى داخلها نبهه بأن امرأة قادمة إليه الساعة العاشرة سوف تسأل عنه، عليه توصيلها حتى باب الشقة.

البواب يُؤمن على كلامه، يبدى فروض السمع والطاعة.. الساعة تدق العاشرة. يتهيأ الدكتور سامى للمقابلة، يضغط على أحد مفاتيح المسجل، يستمع إلى موسيقى خفيفة تدغدغ أعصابه تعود عليها فى مثل هذه السهرات. يتمدد على الأريكة

ينتظر. مرت نصف ساعة بعد العاشرة ولم يدق جرس الباب ساوره شك فى مجيئها.

يسائل نفسه هل فهمها خطأ؟هل أخطأت نظرته إلى هذا الحد؟ طلبها على المحمول فلم ترد.

فجأة سمع رنين الجرس وكأنه قادم من المجهول. فتح الباب فوجدها أمامه، ووراءها البواب مطأطئاً رأسه يعلوها قرنان.

- اتأخرت.. فقدت الأمل فى مجيئك.
- الطريق كان زحمة قوى.
- طلبتك على المحمول.
- نسيت اشحنه... طب قوللى اتفضلى ادخلى الأول، وبعدين نتفاهم.

دخلت، أغلق وراءها الباب، جال بعينيه من أعلى لأسفل، رائعة الجمال كما لم يرها من قبل، احتضنها وهو يلثم شفتيها بقبلة عميقة تنبئ عن سعادة فوق العادة وقضاء ليلة يرتويان فيها معاً، سألته :

- مش عايزنى أقرا لك الفنجان؟
- فنجان إيه.. ده كلام.. معقول نضيع وقتنا فى كلام فارغ؟!
- وحياتك ماهو كلام فارغ.. دا أنا بأقرالك المستخبى.
- المستخبى هو اللى تحت هدومك... تعالى نشرب كاسين ويسكى.

ارتويا من معين الحرام، زين لهما الشيطان لذة الخطيئة حتى إنهما قالا فى نفس واحد هذه ليلة عمرنا. اتفقا على أن يتكرر اللقاء. قال لها وهى تغادر الشقة : لن أستغنى عنك فى موضوع " جاكلين أرمانيوس ".

يوم الأحد، هو اليوم المقدس للذهاب إلى الكنيسة صباحاً.

www.alkottob.com

يعرف أن رومى وماتيلدا يداومان على الصلاة، يتناولان القربان من يد القسيس تيمناً وتباركاً به. بعد أن ينتهوا من الصلاة. يذهبون جميعاً يقبلون يد (أبونا)، فإذا به يرى طفلة جميلة غاية فى الرقة والوداعة تجرى بين الناس تخترق الصفوف تصيح بصوت ضعيف وكلمات ركيكة " عايزه ابوس إيد أبونا " سأل عنها قالوا له : إنها جاكى بنت المهندس رومى تلفت حولها رأى أباها ينظر إليها، بحب وولّه شديدين.

●●●

الفصل الرابع

تذكر وعده للمهندس أرمانيوس باللقاء القريب. لكن الفترة طالت نوعاً ما. أقبل عليه مرحباً ومهللاً. تبادلا الأحضان والقبلات. كان اللقاء حاراً ودوداً. كل منهما يعتب على الآخر عدم سؤاله طيلة هذه الفترة وكلاهما يشرح الأعذار ويتعلل بمشاغل الحياة. قطعت حديثهما ماتيلدا زوجة رومى وهرولت نحوه وبيدها جاكى تسلم عليه فلم تنس أنه كان طبيبها خلال فترة حملها وكانت تربطهم بالإضافة إلى ذلك علاقات صداقة. نظر سامى الى جاكى، وضع يديه تحت إبطيها رفعها إلى صدره يقبلها والطفلة مستسلمة له، دقق النظر رأى وجهاً ملائكياً وعينين زرقاوين صفاؤهما كصفاء السماء حين تخلو من السحب. وقعت عيناه على عقد يحوط رقبتها الصغيرة يتدلى منه صليب مرصع بالماس. شرد فكره فى الحقيقة المرة والتى تأكدت له من بحثه وتحرياته. الطفلة ليست ابنة ماتيلدا. ترجع إلى أسرة مسلمة. استعظم الجريمة. لقد أتى اليوم ليصارح رومى وماتيلدا بهذه الحقيقة. هل يجرؤ على ذلك؟

وقف مشدوهاً أمام أسرة من ثلاثة أفراد شعر للوهلة الأولى انهم فرد واحد. تهيأ له أن ماتيلدا وجاكى يشهقان ويزفران معاً فى وقت واحد. نظرتها إلى ابنتها يختلط فيها الحب والخوف

www.alkottob.com

معاً تتابع حركاتهاوتصرفاتها. تضحك إذا ابتسمت، تحزن إذا عبست لأى سبب.هل يستطيع أن يكون بلا قلب أمام هذه العواطف؟ هل يلقى قنبلة سوف تدمر هذه الأسرة الصغيرة؟ الصور جميعها اختلطت أمامه. يعرف أن هناك ولداً حقيقياً لهما دينه يخالف دينهم ماذا عنه وعن المعلم عبد العال؟ بالقطع سيكون متعلقاً أيضاً بأسرته فهو أيضا لايعرف الحقيقة، ولكن ماذا عن يسرية أم الولد على الورق الرسمى والتى تعرف الحقيقة وتعيها؟

الأمور فى غاية التعقيد. لن يصمت، هذا قراره. فالصامت عن الحق شيطان أخرس وهو ليس كذلك. استجمع قواه وتمالك أعصابه يستأذن ماتيلدا

إنه يرغب فى الجلوس مع رومى على انفراد لأمر خاص به. رحبت بذلك. وقبل أن تتركهما أخبرته أن عيد ميلاد جاكلين الثالث بعد أسبوع وأنه أحد المعازيم الرئيسيين فى هذا الحفل، ولابد من حضوره.

أحس سامى بدوار شديد، كيف يفاتحه فيما قدم من أجله وهما يستعدان لحفل عيد الميلاد لحبيبة قلبيهما "جاكى"؟ هل يكون جزاراً وينحر الذبيحة على غرة؟ هل تصل قسوته إلى هذا الحد؟... أسئلة كثيرة تدور بخلده والصراع النفسى يبلغ مداه فى صعود وهبوط حتى لاحظ رومى تلك التغيرات التى اعتركت وجهه، سأله :

- فيه حاجة يادكتور سامى؟ أنا حاسس انك مرتبك.

بعيون زائغة وشرود ذهن يجيبه بلا شيء.يسترسل رومى فى حديثه العذب عن عيد ميلاد جاكى، وكيف أن الزمن يجرى بسرعة البرق فقد مر على مولدها ثلاث سنوات !! يتمنى أن يراها عروساً، ثم يؤكد على دعوته للحفل. لكنه يتذكر أنه لم يبلغه بعنوانه الجديد الذى انتقل إليه حديثاً.

اندهش سامى من تغيير العنوان، يعرف أن عمارة شبرا ترجع الى الجد الأكبر وكم كان رومى يعتز بالإقامة فيها، تحوى ذكريات

قرن من الزمان، يعلم يقيناً أنه كان قادراً مادياً على تغيير مسكنه منذ زمن، لكنه دائماً يقول ١٣ ش مسرة تراث لايمكن الاستغناء عنه مهما امتلكت من الملايين، لم ينس مقولته ذات مرة هواء " شارع مسرة يحمل نسمات أجدادى "، كم كان يتغزل بعبق المكان الذى مافتئ يستنشقه.

دعاه ذلك إلى الاستفسار عن سر هذه النقلة الغريبة التى لاتتفق مع مبادئه، والتى أبعدته عن أهله وجيرانه وأصحابه؟. أجابه بأن السبب فى كل هذا" جاكى حبيبة أبيها وقلبه النابض بالحياة، لقد غيرت رؤيته للمستقبل، يجب أن تعيش فى حى راق، الدنيا تغيرت وأصبحت المظاهر أساسية فى التعامل مع البشر.

الناس لاتهتم الآن بالأصول أو الجذور لكونها مدفونة فى باطن الأرض. لاتراها الأعين ولكن تدركها العقول. وأين الآن هذه العقول.فقد صدأت بعوامل الزمن والمادة، يهتمون بالسيقان والأوراق ذات المظهر الخلاب وهم مخدوعون

فلابد للأوراق أن تسقط ولو بعد حين من الزمن. المادة غلبت وسيطرت على النفوس، والكل يسأل ماذا يملك؟ وكم يساوى على كفة الميزان؟ وأين يعيش؟ خشى أن تتهم ابنته باطلاً ببخل أبيها. لذا انتقل إلى شقة فاخرة بالزمالك تطل على النيل، هكذا يسكن أولاد الذوات الآن، وصف له العنوان الجديد،

وشد على يده يودعه وينبه عليه بألا ينسى حضور عيد ميلاد جاكى فى مثل هذا اليوم من الأسبوع القادم.

لم يستطع أن يتلفظ ببنت شفة، أخرسه الموقف، فرحة عيد الميلاد ألجمته. هل يتغاضى عما قرّر وينسحب من الميدان؟.

هذه المرة الأولى التى يساوره فيها هذا الهاجس، ماذا لو ترك الحال على ماهو عليه؟ رومى وماتيلدا سعيدان بابنتهما ولم يساورهما شك فى بنوتها. هل يطلق نار الحقيقة ويدعها تدمر من تدمر أو ربما تصحح وتعتدل الأمور وهذا احتمال بعيد. المشاعر المتضاربة تتصارع بداخله. من ينتصر؟ الاستمرار أم

www.alkottob.com

الانسحاب، راح يفكر بعمق، جال بخاطره سؤال عن الولد، لماذا لم يفكر بلقاء هذه الأسرة؟ ولتكن البداية مع السيدة يسرية لأنها تعرف الحقيقة كما يعرفها هو.

العرافة صارت خاتماً فى يده، بسبب العلاقة الآثمة التى نشأت بينهما،سوف تكون رهن إشارته، ولو طلب منها شيئاً فلن تتأخر فى تلبيته. لم تكن دعوته لقضاء ليلة حمراء بشقته مقصورة على إشباع جنسى فقط. بل قصد بها أيضاً توطيد العلاقة بينهما لتكون ساعده الأيمن دون أن يستمر فى نزيف المال.

صورة جاكى لاتفارق عينيه، طفلة جميلة حقاً، والحب الذى رآه حقيقى أيضاً. لكنه كلما تذكر أن رومى وماتيلدا يعيشان فى زيف، اغتاظ وتملكته عزيمة الإصرار على المضى لكشف الحقيقة.

اتصل بالعرافة يطلب مقابلتها فى موعد قريب، سعدت بطلبه وفى اللقاء سألها :

- ممكن توصلينى للست يسرية اللى معاها الولد ابن رومى ويكون قبل أسبوع من النهارده؟

فكرت برهة ثم قالت :-

- بصراحة ده موضوع مش سهل لكن أحاول علشان خاطر عيونك. بس قوللى عايز تقابلها ليه.؟ ح تقولها إنك عرفت حقيقة الولد ابنها.

- لأ مش من أول مرة كده.؟ بس عايز أشوفها وياريت أقابلها.

- ادينى فرصة يومين علشان الست يسرية دى ست مش سهلة.

أنهى اللقاء بقبلة، يهمس فى أذنها أن تحقق له مطلبه وليكن ذلك قريباً كلما أمكن ذلك. لم تطلب منه العرافة مقابلاً مادياً هذه المرة، أحبته، تبدلت نظرتها للعلاقة بينهما من مادية إلى عاطفية، توهمت أنه وقع فى غرامها. سعيدة كل السعادة بهذا النوع من العلاقة، غريب عليها ذلك. ستبذل قصارى جهدها لإرضاء الدكتور سامى.ولم لا؟ فقد وجدت فيه ضالتها من حيث الرجولة والمستوى الرفيع. استقر بداخلها أنه يختلف كثيراً عن كل من عرفتهم قبله.

تشجعت وذهبت إلى ٢٦ شارع النباتات بجاردن سيتى لتفتح لها الخادمة، سألتها عن السيدة يسرية : فأجابتها :

- أقولها مين؟

- قولى لها واحدة صاحبتك.

- اسم حضرتك ايه؟

- صاحبتها وبس.

ترامى إلى سمعها صوت سيدتها تسألها : من الطارق؟

- بتقول واحدة صاحبتك.

- دخليها الصالون.

سمحت الخادمة للضيفة بالدخول إلى صالون المنزل، وذهبت لسيدتها تسألها إن كانت تريد شيئاً. طلبت منها السيدة يسرية أن تقدم لها مشروباً حتى تغير ملابسها المنزلية. بعدها دلفت إلى الصالون. ما أن رأتها حتى وقفت مشدوهة فاغرة فاها، تضرب على صدرها بكفها، تسألها : ما الذى أتى بك الآن، ولماذا؟

المفاجأة مذهلة لزوجة المعلم عبد العال، دائما ماتذكرها العرافة بالجريمة النكراء، قلبها ينفطر حزناً وكمداً، بل يقطر دماً على ابنتها الضائعة. تتمنى أن تراها وتضمها إلى صدرها، ربما تكون الابنة تنعم برغد العيش، لكن هيهات ذلك من حنان الأمومة الحقيقية. أحيانا تنظر إلى طفلها، وتعلم أنه لاناقة له ولا جمل فيما حدث، لم يرتكب ذنباً بل الذنب كله عليها. وافقت على المشروع الإجرامى من بدايته. تملكتها الأنانية المفرطة فتجرعت العلقم تجتره كل حين، لم تنم نومة هادئة منذ ثلاث سنوات، أرضعته لبن صدرها طيلة عامين. يحز فى نفسها أنها صارت أماً له بالرضاع،كانت تتمنى أن تكون أما بالدم، لكن هذا قدرها ولابد عليها أن تجابه الواقع بما لايحدث فتنة بين اسرتين، وربما بين ديانتين.

أمامها وفى غرفة صالونها الشيطانة الكبرى، لماذا جاءت إليها؟ تراها ترتدى ثوباً غير ثوبها تتصنع هيئة جديدة لم ترها من

www.alkottob.com

قبل. هانم فى ملبسها وأناقتها، رائحة عطرها تفوح أريجاً مع النسمات، لكن يسرية تشمه رائحة نتنة،تنظر إليها فى مخبرها وكنهها فتراها قبيحة. تتشاءم من رؤيتها، مجبرة تود أن تعرف سبب مجيئها. الجرح متقيح ممتلئ بالصديد، تخشى أن تضغط عليه فتزداد آلاماً على آلامها، العرافة تجئ لتكوى الجرح بالنار. كل يوم يمر عليها تدعو الله أن يتوب عليها وينسيها ويذهب عنها الأرق والسهاد، لكن الشيطانة تقنعها أن الصفقة رابحة أخذت ولداً بدلاً من بنت، وحافظت على زوجها وبيتها. أفاقت من شرودها، تتفرس فى وجه الزائرة.

بادرتها العرّافة بالكلام :

- طب قولى لى اتفضلى دا مهما كان أنا فى بيتك.. يمكن جايالك فى خير.

- عمرى ماشفت الخير على إيديكى..

- المره دى أنا بأسعى فى الحلال.. يمكن تحلى مشكلتك.

رغم عدم اقتناعها،ابتلعت الكلام على مضض، وافقت أن تواصل الاستماع إلى حديثها.

- أنا عارفه انك تعبانه وندمانة.. إيه رأيك فى واحد مهم عايز يقابلك ومعاه ح تحلى مشكلتك.

نظرت إليها بريبة شديدة هل هذه الشيطانة تفكر فى فخ جديد لها؟ هل تفتح لنفسها باباً لابتزاز أموال أخرى؟ هل تطردها أم تسايرها؟. صوت العقل يملى عليها أن تسترسل معها فى الحديث. وسوف تكون هذه المرة حذرة فطنة، لن تتورط معها فى مصيبة أخرى. استجابت لنداء العقل.

- مين ده اللى عايز يقابلنى.

- الدكتور سامى بديع

- وإيه علاقته بالموضوع؟

مع السؤال تنهدت العرافة تنهيدة تنم عن راحة مؤقتة، وهدأت أعصابها المتوترة اعتقاداً منها بأن يسرية سوف تستجيب لطلبها.

حكت لها كل شيء عن الدكتور سامى بديع ومدى صداقته لرومى، وزادت على ذلك أنه قريب هذه الأسرة، ولن تخسر شيئا بمقابلتها له.

اعتدلت يسرية فى جلستها، ثم وضعت رأسها بين راحتيها تفكر برهة. تسمع نبضات قلبها بالأذن المجردة، لقد فاحت رائحة الجريمة.هناك الآن عديدون يعرفون الحقيقة، لم يعد هناك سر يحتفظ به. تخطى السر حواجز الستر، سوف ينكشف قريباً. الأيام المقبلة حالكة السواد، لايمكن أن تتجاهلها إلى متى ستضع رأسها فى الرمال مثل النعامة؟ يجب أن تتشجع وتواجه المستجدات بنوع من الحكمة والتأنى. رفعت رأسها وقالت :

- موافقه أقابل الدكتور سامى.. خدى منه ميعاد.

قامت العرافة من جلستها باشة الوجه مبتسمة بنشوة الانتصار تمد يدها تهافحها تقول لها لن تمر سوى ساعات حتى أخبرك بالموعد.

انتهت الزيارة المريرة، أجهدت يسرية عقلها من كثرة التفكير، هل تواصل؟ مرة يأتيها الرد من داخلها بالإيجاب وأخرى بالرفض.تميل أكثر إلى أن تكمل المشوار، وتفى بوعدها وتقابل الدكتور سامى؟

تحدد موعد اللقاء وكان من الأرجح أن يكون بعيادة الدكتور سامى قبل بداية عمله حتى تبتعد عن الشبهات إذا ماقابلته فى مكان آخر. فمن الطبيعى أن يرتاد العيادة عشرات بل مئات السيدات بعيدات تماماً عن أية ظنون أخرى.

العيادة خالية تماماً حتى من موظفيها. لايوجد بها سوى الدكتور سامى يجلس فى صالة الاستقبال على إحدى الأرائك. تعمدالا يستقبلها داخل غرفة الكشف على المرضى، حتى لايؤثر ذلك على نفسيتها الجريحة، يحاول بذلك أن يضفى على اللقاء جواً من الصداقة. جاءته فى الميعاد المحدد. سيدة وقور محتشمة، تميل إلى البدانة تجبر الناظر إليها على احترامها. قابلها بترحاب شديد، يقول :

www.alkottob.com

- أعرف أن فى قرارة نفسك ندماً شديداً.
- بدون شكٍ يادكتور.. لماذا إصرارك على مقابلتى؟
- لكى نصحح الأوضاع.
- كيف؟
- لو ساعدتنى سيرجع كل شيء لأصله.
- أفهم.

بدأ الدكتور سامى يشرح لها باستفاضة مدى حب رومى وزوجته لجاكلين وتعلقهما بها، هذا الحب الكبير سوف يجعلهما لايقبلان الاعتراف بالحقيقة. ومن أجل نجاح الخطة لابد أن يساور الشك رومى وزوجته فى بنوة جاكى.

تغير لون يسرية بمجرد سماعها لاسم ابنتها، ارتعشت شفتاها، لمعت مآقيها، كادت الدموع تسيل على خديها. اهتز كيانها وهى تكرر له " يدللونها الآن بجاكى ".

أومأ الدكتور برأسه بالإيجاب، أحس بما تحس به. قام من فوره يحضر لها كوباً من الماء. ارتشفت رشفة واحدة، سمع اصطكاك أسنانها بزجاج الكوب. اعتذرت لانفعالها، طلبت منه أن يكمل حديثه.

- لدى من الصور التى أظهرها " السونار " مايؤكد أن الجنين فى بطن ماتيلدا كان ولداً.
- وماذا تريد منى أن أفعل؟
- أن نذهب معاً لمقابلة رومى وماتيلدا وتروى لهما ماتم فى المستشفى ومافعلته رئيسة الممرضات عطيات.

أحست بأنه يضع سكينا على رقبتها، كادت تنهار. يجب عليها أن تتماسك أو على الأقل تحاول، رفعت كوب الماء إلى فمها مرة ثانية، تبلل ريقها الجاف، وتقول :

- إذا كانت هناك مشكله مع رومى وماتيلدا فالمشكله أعقد وأصعب مع زوجى عبد العال. فأنت لاتدرى ماذا يمثل له الولد

الآن؟!.. لو قلت لك إنه عينه وقلبه معاً فهذا قليل من كثير. لقد أفردت حياته تماماً بعد مقدمه. ترك سهراته الطويلة خارج المنزل، جعلنى وبناته خادمات له. لو عطس أمامه ذهب به إلى الطبيب، يقول لى ساكتب له نصف أملاكى والنصف الآخر لكم جميعاً. فهل تعتقد أن الأمر سهل؟!

انصت الدكتور سامى إلى كلام يسرية بعناية وبعد أن أفرغت كل ما فى جعبتها، قال :

توقعت أن يكون زوجك على هذه الحال؟ لذا يجب أن نفكر جيداً فيما نفعل. يجب علينا عدم الاستسلام. ساعدينى أولاً فى زرع بذرة الشك لدى رومى وماتيلدا. ثم نبدأ فى زرعها بعد ذلك لدى زوجك. وتأكدى أننا نسعى وراء هدف سام، أعتقد أن الرب سوف يقف بجوارنا، لدى يقين الآن وبحضورك هنا أنك راغبة فى الرجوع إلى الحق وأنك نادمة على مافعلت، ذلك هو بداية طريق الصواب، سمعت منكم كثيراً أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

هدأت سريرة يسرية بعض الشيء، استشعرت صدق كلامه، تفرست في وجهه علّها تجد ما يكذّب تخمينها، لم تجد، قالت له من اقتناع :

- موافقه أروح معاك نزورهم.
- إنت عارفه إن عيد ميلاد جاكى يوم...
قاطعته عارفه بعد يومين.
ابتسم يكمل حديثه.
- زيارتنا ح تكون بعد عيد الميلاد.
- موافقة.
- بس لى طلب مهم.
- ايه ياترى؟
- يكون معاكى الطفل فى هذه الزيارة.

الزينات تبدأ من أول الشارع الشهير بحى الزمالك، كأنها ليلة

www.alkottob.com

عرس، لم ير عيد ميلاد بهذا الشكل وبكل هذه البهجة. يا إلهى الحى كله يحتفل بعيد ميلاد جاكى !! ثراء أبيها يمكنه من الاحتفال ببذخ من أجل ابنته الوحيدة. تحسس جيبه، لمس بيده هديتها .استصغرها على مايشاهده، السيارات الفارهة التى تنم عن ثراء مقتنيها تقف أمام العمارة. ليس لديه وقت لإعادة التفكير وتغيير الهدية.

أقنع نفسه بأن قيمة الهدية فى معناها، لايهم القيمة المادية سلسلة ذهبية معلق بها قلب صغير عليه حفر اسم جاكى، يكفيه ذلك.ارتقى درجات السلم، يسمع الزغاريد من كل اتجاه. تغوص قدماه فى السجاد المغطى به درجات السلم فما بالك إذن داخل الشقة. امتلأت الشقة الرحيبة بالمدعوين.قوبل بترحاب شديد من رومى الذى لمحه لحظة دخوله.اصطحبه وسط جمع غفير يسلم على زوجته وابنته. وقعت عيناه وهو متجه نحوهما على سلفانا أخت رومى. خفق قلبه، عادت ذكرياته إلى يوم أن فكر فيها زوجة له. لكن طموحه وآماله أزاحت فكرة الزواج وأجهضتها من بدايتهاحتى يتحقق له الكسب المادى. وبعد أن تحقق له ذلك ألغى الفكرة تماماً. أما عن إشباع غريزته فلم يعدم الوسيلة. مازالت تتمتع بخصرها النحيل وجسدها الممشوق الرشيق. تغير لون شعرها إلى اللون الأصفر. كان شعرها أسود فاحماً، بالقطع صبغته بهذا اللون تساير به نساء موطنها الجديد. السنون الطويلة لم تترك الأثر التى تتركه لدى الأخريات، يعرف أنها تعيش الآن فى أمريكا. هل الغربة تحافظ على الجمال؟ هل تلوث البيئة له علاقة بنضارة الوجه؟ أم نوعية الأغذية هى التى تلعب الدور المهم؟ على أية حال سلفانا الجميلة تجذبك إليها من النظرة الأولى. كان شغوفاً أن يسلم عليها، يصافحها، تلتقى عيونهما معاً، يعرف آخر أخبارها وأخبار بلد المهجر، لم تكن بحاجة مادية للهجرة، زوجها الذى أصر على ذلك.إيماناً منه بأن الفرصة سانحة لتحقيق طموحاته بشكل أكبر فى أمريكا كما أن بلاد الأجانب ترفل فى

حكم ديمقراطى، يقدرون قيمة الآدميين.

سلم على أصحاب عيد الميلاد وقبّل جاكى، ذهب ليسلم على سلفانا سلاماً حاراً، جلس بجوارها، سمع منها تفاصيل حياتها العائلية، وكم تحب زوجها وأولادها،وأنهم جميعاًمستريحون فى الولاية الأمريكية،زوجها يمتلك مشروعاً يدر عليهما دخلاً كبيراً. كان الدكتور سامى سعيداً بالحديث معها، ويكفيه أنها أعادته إلى ذكريات شبابه وإن أبدى لها اقتناعه التام بسعادته فى عدم الزواج حتى الآن.

مراسم الاحتفال تتم على الوجه الأكمل، أبونا استرسل فى الدعاء ومنح التبريكات لمعظم الحاضرين. الرقص والغناء حول " التورتة " والثلاث شمعات والأغانى والأهازيج تشنف الآذان. يطفئ النور فجأة ليطفئوا الشمع وسط التصفيق الحاد. الكل يأخذ دوره ليقبل جاكى ويتمنون لها عمراً مديداً ومائة عام.

ركب سيارته عائداً إلى منزله، شريط عيد الميلاد يدور بخلده، يتعجب من القدر كيف يكون كل هذا الحب لغير أهله؟ جاكى ابنة المعلم عبد العال ليست ابنة أرمانيوس الصديق طيب القلب. نفس الحال بالنسبة لعبد العال ويسرية وهما يحتفلان بعيد ميلاد حمادة، يعتقد أنه لن يكون بهذا المستوى من الفخامة والأبهة. لقد عرف من يسرية حين لقائه معها أنهم يعدون من الأغنياء، لكنهم ليسوا بغنى رومى وماتيلدا. وصل إلى الجراج أمام عمارته، أغلق السيارة وعقله أيضاً طرد كل الأفكار والهواجس حول الموضوع، قرر أن يدع الأمر بضعة أيام حتى يتحين الفرصة المناسبة لتنفيذ الخطة.

ذات صباح كان يتصفح الجرائد كعادته،استرعى انتباهه خبر تحجرت معه مقلتاه. حريق هائل بمخازن رومى بوكالة البلح. الخسائر التقديرية تفوق العشرة ملايين جنيه. شركة التأمين تخلى مسئوليتها لأن صاحب المخازن لم يجدد الوثيقة. التجار فى الوكالة حزانى، لكنهم يحمدون الله لعدم وجود خسائر بشرية. النيابة تحقق فى أسباب الحريق، لم يكمل قراءة الجريدة، نزل مسرعاً

www.alkottob.com

يقود سيارته ذاهباً إلى منزل رومى.

بالسخرية القدر. منذ يومين فقط كان الشارع مزداناً بالأضواء كاللآلئ، والعمارة كأنها كتل من نور مختلف ألوانه. المدعوون وقتها يرقصون ويغنون. اليوم الحاضرون يعزون ويواسون، يشدون أزر رومى، وهو متجهم الوجه شارد الفكر.

يغمض عينيه معظم الوقت من فرط حزنه، ضاعت ثروته بالكامل. شحنة مستوردة حديثاً بالملايين احترقت، مدين بقيمتها للبنك. يتقبل المواساة من أصدقائه وأحبائه، الكل يعرض عليه مساعدته بقدر إمكانياته.

الأيام تمر ثقيلة حبلى بالمصائب والكوارث. ورومى حائر بين النيابة وشركة التأمين، ربما يجد لنفسه عذراً فى عدم تجديد الوثيقة لكنه لم يفلح. زاد الطين بلة حينما تحرك البنك ودعاه ليسدد ما عليه من ديون. جلس يفكر طويلاً ماذا يفعل؟ حصر ما بقى من ثروته من ضمنها الشقة الفاخرة التى يعيش فيها بالزمالك وجدأنها لاتغطى جميع التزاماته. هاتفته سلفانا من أمريكا بعد أن علمت بما حدث له من الجرائد، عرضت عليه أن تساعده فى سداد ماعليه، شكرها وطلب منها أن ترجئ ذلك حتى يعيدحساباته. رجته أن يبدأ فى إجراءات الهجرة وزوجته وابنته، وعدها بالتفكير فى هذا الأمر بعد أن ينهى جميع مشاكله.

جلس أمام الحطام ينظر إلى المكان وقد احترق عن آخره حتى إن النيران كادت تلتهم الجدران، تحسر على ما ضاع منه. التف حوله العديد من تجار الوكالة ومن بينهم المعلم عبد العال، يضربون كفاً بكف، يمصمصون شفاههم،ويحوقلون. يسألونه عما سيفعله. عرض شقته الفاخرة بالزمالك للبيع، انبرى المعلم عبد العال يفصح عن رغبته فى معاينتها رغبة منه فى شرائها. وافق رومى على ذلك، وحدد له موعداً يأتى فيه عبد العال وعائلته لزيارته.

الفصل الخامس

الأمور تتعقد سريعاً، مسئولو البنك يلاحقون أرمانيوس، يستحثونه على سرعة السداد حتى لايتخذ البنك الإجراءات القانونية التى تدينه،خيالات القضبان الحديدية تتراقص أمام عينيه،المصيبة تتفاقم، يجب عليه السداد فوراً، هكذا تكدرت حياته بعد صفاء. انقلبت السعادة إلى تعاسة، حار فكره وانشغل بالهم، تراه دائما مغموماً إلا من لحظات مداعبة مع ابنته جاكى. تفاقمت المشاكل، يحلم بالخروج والهروب حتى يستفيق لمسار حياته الجديد المتمثل فى الهجرة لذلك البلد الذى تعيش فيه أخته.

الحقيقة الماثلة أمام عينيه أنه لايملك ثوبه.هذا لايهمه، سمعته وكرامته تفوقان أى مطلب آخر. يعض أصابع الندم لتراخيه فى تجديد وثيقة التأمين. لو تنبه لذلك كانت الأمور أسهل. شقته الفاخرة بالحى الراقى سوف تدر عليه مبلغاً لابأس به. من أين له بالباقى؟ يفكر فى عمارة شبرا التى يمتلك حصة فيها مع أخته.

لن تمانعا، لقد عرضت عليه أخته المقيمة بأمريكا ماهو أكثر من ذلك، أن تساعده من مالها الخاص.يعرفها جيداً حنونة بالغة الرقة.ولكن أين هو من الأب والأجداد؟ يفكر ملياً وهو يقضم

www.alkottob.com

أظافره بأسنانه حتى كاد يدمى أصبعه، آلمه، أفاق من شروده، انقبض قلبه حينما راودته هذه الفكرة. عاد به شريط الذكريات إلى طفولته التى غرست بشارع مسرة وترعرعت فى جوها المفعم بالروحانيات الدينية. أحس بأنه اقتلع جذوره من الأرض. يالها من فكرة خائبة لا يأتى بها إلا خيال مريض. نفسه اللوامة تؤنبه و ضميره يوخزه، يحاول جاهداً أن يلملم كيانه المتهتك ويبحث عما يملأ فؤاده الفارغ. يساوره شك رهيب فى أن ماحدث له كان نتيجة نقلته إلى الزمالك وتركه تراب شبرا.

لماذا لم يحدث له مثل ذلك حينما كان يقطن شبرا؟ سؤال يلح عليه يطلب الإجابة، يومئ برأسه وكأنه يقر ويعترف بأن هذه هى الحقيقة. تداعت عليه الأيام تسقيه الحنظل، الأرق والسهاد يقلبانه على جنبيه طوال الليل، يستيقظ كثيراً من نومه وهو يحس أن يداً غليظة تقبض على عنقه تخنقه، يطلب شربة ماء. أنفاسه متحشرجة يستعيذ بالرب من الشيطان. هكذا تعتركه الإرهاصات الكدرية.

جلس على الأريكة يضع رأسه بين راحتيه. سقطت دمعتان حارتان من عينيه تخط كل منهما سطراً حزيناً على خديه، لن يفيده ندم ولا لوم. هل يستسلم لأحزانه؟ لم يكن ذلك من طبيعته·ليكن قوياً يجابه المشكله بواقعية ويسلم بقضاءالله وقدره.

واتته لحظة إفاقة، طرد كل الوساوس من صدره وعقله، انتصب وقد جفف دمعتيه بمنديله ينادى على منقذته من كل هذه الأوهام. إنها جاكى ابنته الحبيبة التى تنتشله مما هو فيه مهما كانت حالته المزاجية. جاءته مهرولة نحوه، لاحظت بريق الدموع فى عينيه، رمقته بنظرة بريئة تكلمت :

- مالك يا دادى؟ انت بتعيط !!

تأمل وجهها الملائكى، ورسم على شفتيه ابتسامة مصطنعة، رفعها بيديه إلى صدره يضمها بحنان زائد، يدفن وجهه فى صدرها. أحس بنبضات قلبها تلامس شغاف قلبه المهموم، ثم طبع

على خدها قبلة طويلة· جلس وأجلسها بجانبه.

- مافيش حاجه ياحبيبتى·روحى البسي فستانك الأصفر الجميل علشان فيه ضيوف جايين دلوقت يزورونا.

- معاهم أطفال قدى يادادى؟

- معاهم يا حبيبتى.

- ممكن ألعب معاهم باللعب بتاعتى؟

- ممكن.

تركته وهى سعيدة تقفز بخطوات مرحة لتنفذ ما قاله أبوها، راقبها حتى دخلت غرفتها بعد أن نادت على خادمتها لتساعدها فى تبديل ملابسها.

جالت عيناه بالبهو الرحيب، تذكر أن ماتيلدا زوجته بغرفتها تتزين استعداداً لمقابلة الضيوف القادمين لمعاينة الشقة. ذهب إلى غرفتها، دق دقة رقيقة بإصبعه ليستأذنها فى الدخول. جاءه صوتها بالترحيب. رآها واقفة أمام المرآة تضع " مكياجا " ثقيلاً لم يتعود عليه، لم يشاهدها هكذا من قبل. تعود منها " المكياج " الرقيق الذى لايخفى طبيعة وجهها الجميل والذى فى حقيقته لايحتاج الى مساحيق فقد حباها الله بجمال ربانى·تيقن أنها تعانى من حالة نفسية سيئة لاتقل عن حالته. وقف وراءها واضعاً كفيه على كتفيها يغازلها بأنه يراها اليوم أجمل من أى يوم مضى. ادارت رقبتها ورفعت عينيها إلى أعلى، ترمقه بنظرة ساخرة مشوبة بشجن لايمكن إخفاؤه، كأنه يسمعها دون أن تتكلم تقول له : مجاملة مقبولة.

سمع رنين الجرس، ذهبت الخادمة تفتح الباب·رأت أمامها رجلاً وامرأة وطفلاً صغيراً.

- عايزين مين؟

- شقة المهندس رومى.

- نعم.

www.alkottob.com

- بلغيه المعلم عبدالعال وحرمه وابنه، هو منتظرنا.

سمحت لهم بالدخول واصطحبتهم إلى غرفة الصالون، اندهشت حينما رأت الرجل وزوجته يتلفتان حولهما ينظران إلى أسفل وإلى أعلى وإلى يمينهما ويسارهما كأنهما يخطفان النظرات أثناء سيرهما فى الممشى المؤدى إلى غرفة الصالون، حتى كادت السيدة تتعثر فى طرف السجادة الفاخرة المفروشة بأرضية البهو الفاخر. هال الخادمة هذا الانبهار الذى ارتسم على وجهيهما وتلك المصوغات الذهبية التى تتحلى بها السيدة فى رقبتها ويديها وكأنها " فاترينة " لمعروضات ذهبية نفيسة.

ذهبت الخادمة تبلغ سيدها بالضيوف، لم تجرؤ أن تخبره بملاحظتها تجاههم. أومأ برأسه وأمرها أن تقدم لهم واجب الضيافة حتى تنتهى ماتيلدا من مكياجها. وقبل مقابلتهم سألته زوجته:

- أنت متأكد يا رومى أنهم جادون فى شراء الشقة.

- هو اللى طلب منى شراءها أنا ما أرغمتوش على حاجة!

- أنت معتقد أنه حيقدر الشقة بقيمتها الحقيقية، حيعرف قيمة المفروشات اللى فيها.

- علاقتى به فى الوكالة سطحية بس معلوماتى عنه معلم مليان وشهم، لكنى ما ناقشتوش فى المفروشات، يمكن يكون عايز الشقة فاضية.

- وح نعمل إيه بالفرش لو هو طلبها فاضية.

- خلى كل شئ لوقته.

قطع حديثهما رنين المحمول، فإذا بالمتحدث يقول له : أنا الدكتور سامى هناك أمر هام يستلزم أن أحضر إليك الآن هل أنت فى المنزل؟

لم يشغل باله بتلك المكالمة الهاتفية العارضة التى جاءته من صديقه الدكتور سامى، الآن هو يستعد لمقابلة المعلم عبد العال

الذى يعتقد أن الفرج سيأتى على يديه، يتمنى أن يبيع الشقة بسعر عال يساعده كثيراً فى سداد الدين الكبير الذى طرأ عليه فجأة.

طلب من ماتيلدا الإسراع فى الانتهاء من تزينها حتى لا يمل الضيوف الجالسون بغرفة الصالون. الأسئلة تلح على رأسه ماذا لو لم تعجب الشقة المعلم عبد العال أو قدّرها بأقل من قيمتها؟ إن الوقت يستعجله. ضاقت نفسه بالخوف من الأيام القادمة، هل غدر الزمان قاس إلى هذه الدرجة بأن يسقط الرجل من أعلى إلى قاع سحيق؟ ! يا إلهى ماهذا الظلام الدامس الذى صرت أعيش فيه؟ دعانى إلىّ الرب المجيد أن يفك كربتي،هل يستقيم العود بعد اعوجاجه؟ الرب قادر على كل شيء، لن يتخلى عنى يجب أن أرسخ هذه الفكرة وأؤمن بذلك.

انتهت ماتيلدا من زينتها، أمسكت بيد زوجها يخطوان تجاه غرفة الصالون، وجدا المعلم عبد العال وزوجته واقفين فى ركن من أركان الغرفة الرحيبة يتأملان التحف المزدانة بها وابنهما الصغير جالس فى الكرسى الوثير، لا يكاد يظهر منه. غاص داخله وقد غلبه النعاس.

- أهلاً بالمعلم عبد العال.

قطع صوت رومى الصمت المخيم على الغرفة، التفتا نحوه :

- أهلا بيك يا باشمهندس رومى.

أحس رومى أنه قطع عليهما لذة الانتشاء بالفرجة، فاعتذر لهما مبدياً بأنه سيكون أمامهما وقت كاف لمعاينة الشقة ومحتوياتها.

سمع صوت جاكى واقفة على عتبة الباب تقول :

- ممكن أدخل يادادى.

- تعالى ياحبيبتى علشان تسلمى على الضيوف.

تمشى بتمهل إلى أن وصلت للمعلم عبد العال، مدت يدها تسلم عليه.

ربت على خديها وهو يقول : ماشاء الله تبارك الله فيما خلق.

www.alkottob.com

- حلوة قوى بنوتك ياباشمهندس.

زوجة المعلم الست يسرية جالسة بجواره، ترقب ابنها الصغير بنظراتها فوجدته نائماً، مدت يدها تجذب جاكى وقد بهرتها سلوكيات الطفلة الصغيرة وتأدبها فى الدخول والسلام. انجذبت إليها جاكى بوداعة، تتأمل السيدة وجهها الجميل المنمنم، قربتها إليها تحتضنها وتقبلها تسألها :

- سنك كام سنة ياحبيبتى؟

- ثلاث سنين ونصف. " ردت ماتيلدا "

- " ماشاء الله ده عمر ابنى حمادة ". ثم نادت على ابنها توقظه، وهى مازالت ممسكة بجاكى، لم يسمع لها، قامت من جلستها وذهبت إليه تربت على خديه إلى أن أفاق، تعلل نومه بكثرة لعبه طوال اليوم.

رومى وماتيلدا ينظران فى لحظة واحدة إلى حمادة، يعجبان بشكله وبروحه، يشفقان عليه قيامه من نومه وهو مازال يترنح. أعطته أمه رشفة ماء حتى يفيق. وقف بجانب جاكى، بادرته ممسكة يده الصغيرة بيدها الصغيرة وهو يدعك عينيه باليد الأخرى تكلمه :

- انت اسمك حمادة وأنا اسمى جاكى.. تعالى نلعب سوا فى أودتى، عندى لعب كتير. حلوة قوى ح تعجبك.

يتردد الطفل حمادة ويتململ خجلاً، ينظر إلى أمه نظرة استفسار..ماذا يفعل؟ تفهم أمه ماترمى إليه عيناه فتقول :

- روح معاها ياحمادة. إلعب ياحبيبى.. بس خلى بالك منه ياجاكى. يكاد قلبها ينخلع وهى تنظر إليها.

بدأ المعلم عبد العال حديثه بأنه يرغب فى شراء الشقة من أجل ابنه الوحيد حمادة. رحب رومى وقال لهما : تفضلا لتريا كل الشقة ومحتوياتها وها أنتما قد بدأتما من غرفة الصالون الرئيسية.

جالا بأنحاء الشقة، وبدت نظراتهما تكسر حاجز الخوف لدى رومى، لكنها لحظات مضطربة بالنسبة له لكونه يود الانتهاء من

مشاكله المالية فى أسرع وقت ممكن.انتحى المعلم عبدالعال بزوجته جانبا يتشاوران فى همس لدقائق معدودة، ابتعد عنهما رومى وماتيلدا متعمدين، إلى أن جاء المعلم عبد العال يقول :

- مبروك علينا الشقة.

- مبروك يامعلم. يعنى عجبتك.

- ح ناخد الشقة بكل مافيها.. (ومال على أذنه) بس اللوحات والصور الخاصة بيكم تخدوها أنتم.

- طبعاً يامعلم.

لم يختلفا علىّ القيمة التى قدرها رومى بخمسة ملايين جنيه، واتفقا على إنهاء كافة الإجراءات القانونية خلال هذا الأسبوع.

سمع رنين المحمول، جاءه صوت الدكتور سامى يعتذر له عن تأخره لأن معه ضيفاً من الخليج، تأخر فى حجز غرفة له بالفندق.

جاء هذا الاعتذار على رغبة رومى حتى ينتهى من ضيوفه ويتم الصفقة التى يتمناها.

نادى المعلم حمادة ابنه فجاءه يجرى ومن ورائه جاكى وقد تحابا، لا يود كل منهما أن يفارق الآخر. الأسرتان وسط الطفلين فى ذهول لم يُعرف سببه، كلاهما معجب بالآخر. يحسان بأن مشاعرهما مكبوحة وأن هناك شيئاً غير معلوم يربطهم جميعاً. جاكى لاتود أن تترك حمادة، أمسكت بيده تقبض عليها حتى لايمشى، خاف حمادة من غضب أبيه، فجذب يده ليلحق به، تعثرت قدمه في طرف السجادة المفروشة على الأرض فانكفأ مرتطماً بالكرسى، سمع الجميع بكاء حمادة وصراخه، تورمت جبهته، هرعت ماتيلدا إلى المطبخ لإحضار الثلج تعالج به التورم، والجميع يهدئ من روع الطفل وجاكى تبكى من أجل حمادة.

افترقا بعد أن هدأ الطفل واطمأنوا عليه جميعاً على وعد بلقاء قريب. رومى وماتيلدا يتكلمان عن المعلم عبد العال وابنه، ويسرية وزوجها يتكلمان عن جاكى، كلاهما يستعذب حديثه عن الآخر.

www.alkottob.com

لم تمر سوى دقائق معدودة على مغادرة المعلم عبد العال وأسرته شقة رومى حتى حضر الدكتور سامى ومعه ضيفه الخليجى.

تمت إجراءات الترحيب والضيافة. ثم فاتحه سامى يقول :

- صديقى الشيخ آل عامر يرغب فى شراء شقة بالقاهرة تكون له مقراً دائماً لأنه استثمر جزءاً من أمواله فى مصر، قلت له إن صديقى رومى يبيع شقته نظراً لضائقة مالية ألمت به، فهل تأذن له بمشاهدة الشقة ومعاينتها؟

حدق رومى فى عينى صديقه، وأحس بأنه يعانى الرد، ماذا يقول؟ ومن فرط خجله طأطأ برأسه بما يعنى الموافقة وهو شارد. وباندفاع لاشعورى يقول للضيف الخليجى : تفضل الشقة تحت أمرك؟

عاين الضيف الشقة بنظرات سريعة يهز رأسه فى كل مكان بما يعنى سروره ورضاءه.

استأذن رومى أن يختلى بعض الوقت بصديقه سامى، وأبلغه بأنه قد اتفق من دقائق معدودة على بيع الشقة بمبلغ خمسة ملايين جنيه.

ما إن سمع سامى هذا المبلغ حتى ثار وهاج ينعت رومى بصفات الجنون والعته، لأنه طلب من صديقه الخليجى فى حالة إعجابه بالشقة بأن يدفع سبعة ملايين جنيه. وهو الآن متأكد أنه أعجب بها أيما إعجاب. ثم جذبه بثقة متجهاً نحو الشيخ آل عامر يسمعه.

- عجبتك الشقة.

- نعم.

- سبعة ملايين زى ماقلت لك.

- موافق.

نظر د. سامى إلى صديقه نظرة غيظ يقول له : هل سمعت؟

الفرق كبير، يجدر إعادة التفكير. أحياناً يكون الفرق الكبير لايساوى شيئاً إذا ماكانت الأمور طبيعية، وإذا كان الهدف هو

زيادة الثروة فقط. لكن فى حالة رومى يختلف الأمر تماماً.مليونا جنيه تساعدانه تماماً على فك الأزمة وتقللان من الخسائر، لكن ما الحل؟ طوال عمره بالوكالة كلمته عقد، لم يتراجع فى اتفاق أبرمه يوما قط. هل يتراجع الآن؟ إنه فى محنة حقيقية ينكسر أمامها صلب الحديد. انصرف الشيخ آل عامر على وعد بإجابة سريعة.حتى لاتضيع عليه فرص أخرى. ماذا يقول للمعلم عبد العال إذا ما أغرته المليونان! ؟

نادى ماتيلدا شريكة حياته وأم ابنته، وجلسا يتشاوران فى هذا الشأن علهما يصلان إلى رأى صائب سديد. دار نقاش طويل انتهى إلى رغبتهما معاً فى بيع الشقة للمعلم عبد العال، الزبون الأول خاصة أنه لم يعترض على السعر الذى طلباه.

لذا قال رومى : سوف أقوم الآن أهاتف الدكتور سامى، أبلغه بما انتهينا إليه. أتوقع أن أسمع منه كلاماً قاسياً.لكن هذه هى المبادئ، تظهر فى المحن أكثر من ظهورها فى غيرها.... اتهمه سامى بالغباء.

ذهب مع المعلم عبد العال للشهر العقارى لإتمام إجراءات البيع والشراء، وطلب منه أن يمهله عدة أيام قليلة حتى يرتب أمور عودته إلى شقة شبرا. لم يمانع المعلم وأبدى ترحيباً شديداً بذلك.

توطدت العلاقة خلال الأيام القليلة بين عبد العال ورومى حتى كادا لايفترقان داخل الوكالة. وفى صباح يوم مشرق وبينما هما جالسان أمام المحل المنكوب يحتسيان القهوة والمعلم عبد العال يدخن النرجيلة يسحب منها نفساً عميقاً، جاء إلى رومى محاميه الذى يتولى له كافة شئونه القانونية مبتسماً مهللاً مبشراً. أحس رومى بأن شيئاً غير عادى قد حدث، فقلما رآه مبتسماً. اقترب من أذنه وهمس بما لايمكن لأحد غير أذن رومى أن تسمعه، وقال له: لقد اطلعت شركة التأمين على الإلتماس المقدم منك، ودرست ملف سيادتك وكافة عمليات التأمين، ولتاريخك المشرف معهم، فقد صدر قرار استثنائى من رئيس مجلس إدارة شركة التأمين

www.alkottob.com

بتعويضك بجزء من قيمة البضاعة المحروقة قدروه بمليونى جنيه.وهذاهو الشيك بالمبلغ، تسلمته بموجب التوكيل معى.

نظر رومى إلى السماء مبتهلاً ولم ينس بالطبع أنه قد صدق وعده فعوضه الرب، لم يتبق سوى مبلغ صغير نسبياً يستطيع الآن أن يطلبه من أخته سلفانا. استأذن من المعلم عبد العال وذهب يبشّر زوجته التى ما إن سمعت حتى ضربت كفاً بكف لأنها تعرف سبب مجئ المليونى جنيه.

مرت الأيام كما خططها رومى، وعاد إلى شقته بشبرا التى لم يكن قد تصرف فيها خلال فترة وجوده بالزمالك، لكن قلبه ملئ بالحزن رغم سداده لكل مستحقات البنك وبراءة ذمته.

قدم أوراق الهجرة إلى أمريكا. تردد على السفارة مرتين هو وأسرته. ساعدته سلفانا فى سرعة إنهاء الاجراءات بالتوصية عليه من بعض شخصيات بلد المهجرعن طريق الهاتف. وعدوه بتسليمه جوازات السفر ممهورة بخاتم السفارة بتأشيرة الهجرة خلال أسبوعين.

علم الدكتور سامى بكل هذه التطورات، بارك مشروع الهجرة، لكنه قلق بسبب جاكى،هل يستطيع أن يعمل شيئاً خلال هذه الفترة الوجيزة؟. هو على يقين بأن هجرة رومى سوف تضيع معها كل شيء. وستظل الحقيقة غائبة وعليه أن يسلم بالأمر.

شخصية الدكتور سامى ليست من تلك الشخصيات المستسلمة، سوف يخزه ضميره طوال عمره لأنه يعتبر نفسه مقصراً فى إظهار الحقيقة التى تأكد منها وأخذ على عاتقه تصحيح الوضع... لن يتحمل كل هذا العذاب طيلة حياته والأكثر من ذلك أنه لا يحب الفشل فى أي شي ء.

راح يفكر ويقدح زناد فكره حتى تذكر أخت رومى سلفانا حبه القديم، فقد عهد فيها رجاحة العقل وحسن التصرف. لابد أن يلجأ إليها فقد تساعده على الحل وهى بالقطع لن ترضى بما حدث. كيف لابن أخيها أن يتأسلم ويعيش مع أسرة مسلمة؟! سوف

الفصل السادس

عبدالعال يطير من الفرحة بشرائه هذه الشقة الفاخرة. ابتاعها باسم حمادة القاصر بولاية والده. أعطى له هذه الشقة على عين حياته حتى لاينازعه فيها أخواته البنات إذا ماقدر الله ومات وقام بتوثيق ذلك. لم يلق هذا التصرف هوى زوجته يسرية،وإن كانت تحب حمادة،لكنه ليس من دمها ولم يرتبط بالحبل السرى بها. لايستحق كل هذا فى نظرها. كانت تفضل أن يترك الشقة على المشاع وإن كان ذلك فيه غبن قليل،لكنه أفضل من الغبن كله. هل تستطيع يسرية مخاطبة زوجها فى ذلك؟. تعرف أنه ذو شخصية عنيدة شديدة البطش. لم ولن يصدق أن حمادة ليس ابنه. لم تنس أنه اتهمها بالجنون يوم الولادة حينما أفصحت عن الحقيقة. أمّن على كلام الممرضة عطيات بأن ذلك هلوسة من أثر المخدر. يجب عليها أن تكبح مشاعرها وإلا تبوح بأى كلمة حول الموضوع الذى قد يقلب حياتها رأساً على عقب. لقد نال منها كثيراً حتى كاد يرديها والآن تحس كأنها تحلق فى السماء كالطائر المجنح ليس له وجهة محددة،يحط فى أى مكان،فلتدع الأمور تجرى على أعنتها وليقض الله أمراً كان مفعولا. ضاق قلبها الكبير بكثرة مشاعر الحزن والشجن التي تنتهى دوماً بالبكاء الذى يبلل خديها. قرر

www.alkottob.com

عبد العال أن ينتقل إلى شقة الزمالك. وأن يؤجر شقة جاردن سيتى مفروشة لإحدى السفارات،لكن زوجته وبناته اعترضن على ذلك واقترحن عليه أن يؤجر شقة الزمالك مفروشة وأن يدعهن يعشن فى شقة شارع النباتات التى تعودن عليها.

استمع المعلم لرأيهن وأخذ يديره فى عقله،وجال بخاطره صغر سن حمادة الآن،فلا ضير من الموافقة على رأيهن،وأسر ذلك فى نفسه،وترك هذا الأمر على مهل،فهو ليس فى حالة استعجال،كما أنه ليس بحاجة إلى المال فالأمور ميسرة والمكاسب مستمرة.

الدكتور سامى يفكر فى هجرة رومى،تذكر سلفانا. استحضر الهاتف :

- آلو - سلفانا - أيوه معاك - د٠ سامى بأكلمك من مصر.

- أهلاً ياسامى خير فيه حاجة؟

- حاجة مهمة قوى عايز أكلمك فيها - تفضل - أنا عارف أن رومى أنهى إجراءات الهجرة.٠٠ فيه حاجة مهمة لازم تعرفيها٠

- قول ياسامى - جاكلين " جاكى " بنت رومى - مالها.٠؟ فيه حاجة لاقدر الله.٠؟ قول بسرعة ياسامى - لا لا. اطمنى.٠ بس عايز أقولك إنها مش بنته - بتقول إيه.٠٠ أنت بتهزر ولا بتتكلم جد؟

- أنا بأكلمك جد ياسلفانا.٠٠ الموضوع كبير قوى.

لازم تقفى جنبى لأن يوم ما وضعت ماتيلدا غيروا ابنها ببنت - إنت متأكد؟

- طبعاً متأكد.

- وعارف الولد راح فين؟

- عارف كل حاجة.٠٠ بس ربما رومى لايقتنع بكلامى ولا يصدقه - وأنا كمان مش مصدقة - والمسيح الحى كل اللى بأقولهولك صحيح.

- دا موضوع خطير قوى ياسامى.

- أنا عاوزك تنزلى مصر قبل سفر رومى.

- ح أفكر وأرد عليك. ادينى رقم تليفونك

بدت سلفانا وكأنها ضُربت على رأسها بمطرقة فهى تفكر مليا فى محادثة سامى.يجب عليها أن تتخذ قراراً سريعاً. بعد أقل من ساعة استقبل الدكتور سامى مكالمة خارجية. المتحدثة سلفانا تخبره بأنها حجزت الطيران للقاهرة بعد يومين. الوقت يمضى سريعاً،الدكتور سامى ينتظر سلفانا على أحر من الجمر،وعدته بالمجيء بعد يومين فقط،هل تصدق فى كلامها؟ أحس أنها تحمست للموضوع. أفلحت إن صدقت،يعرفها منذ زمن بعيد،باردة بعض الشيء،قليلة الانفعال،عزيزة الإثارة،لكن الموضوع يخص رومى الأخ الوحيد لها. يعرف مدى حبها له. يتمنى أن تضع يدها فى يده فالأمر بالنسبه له عقيدة بالإضافة إلى كونه جريمة،لن يسكت عن الحق. يفكر ملياً فى ترتيب الأمور قبل قدومها،فلربما تكون إقامتها بالقاهرة لفترة قصيرة،لذا يجب عليه الاتصال بالسيدة يسرية ومقابلتها لأنها الطرف المحورى فى هذه القضية،وإن كان قد علم أن العقبة الكئود فى هذا الموضوع كله هو زوجها الذى حكت عنه كثيراً. لم ولن يقتنع بحدوث خطأ أو جريمة تزوير. رجل تلهف على الولد فجاء له. هل يتركه؟ لقد استنكر الأمر من بدايته وممَّن؟ زوجته وقد صاحت بأعلى صوتها يوم الوضع تريد ابنتها ولا ترغب فى الولد،لم يعبأ بذلك. كما أن سامى على يقين بأن الأوراق والإجراءات بالمستشفى سليمة مائه بالمائة ولم يبق من وجهة نظره غير ضمير الشهود وهما قارئة الفنجان والممرضة عطيات. المعلومات التى جمعها عنهما لاتجعله متفائلا،فمن يبيع ضميره بالمال فلا أمان ولاكلمة له،بل يطرحه فى مزاد ويبيعه لأعلى سعر. لكنه فى مقابلته مع يسرية استشعر خيراً، فهى الوحيدة المكتوية بنار ابنتها، سوف يضغط على هذا الجرح، أحس الندم والحزن يعتصران صدرها. لابأس ربما الأخريان تكونان عاملا مساعداً،خاصة أنه لايمانع فى دفع بعض

www.alkottob.com

المال من جيبه الخاص. يعز عليه أسلمة حمادة وأن تعيش أسرة رومى فى زيف كبير.

ينادى الممرضة سميرة بأعلى صوته تجيبه مهرولة،فليس من عادته أن يكون صوته مرتفعاً،وقفت أمامه واجمة مضطربة :

ـ أوامرك يادكتور ـ اطلبى لى مدام يسرية.

ـ مدام يسرية مين؟

استدارت متجهة إلى التليفون أمسكت به،ثم تذكرت أنها لاتحفظ هاتفها. وضعت السماعة وفتحت درج مكتبها مستخرجة أجندة التليفون تبحث عن رقمها. لم تجده.عادت إليه تذكره بأن رقم الهاتف يحتفظ به لديه فى مفكرته الخاصة،أعطاها الرقم ـ آلو.٠٠ بيت يسرية هانم ـ نعم.٠٠ نقولها مين؟

ـ سميرة .٠٠ واحدة صاحبتها.

تلقت الخادمة المكالمة باستغراب شديد،فهى تعرف كل صديقات سيدتها،لم تسمع عن سميرة قط،ماعلى الرسول إلا البلاغ٠ولما أبلغت سيدتها اندهشت هى الأخرى من هذا الاسم،لكنها لم تمانع أن تعرف من هى؟

ـ أنا يسرية ـ أهلا يسرية هانم.٠٠ أنا سميرة ممرضة الدكتور سامى بديع.

صمتت برهة،تلعثمت قليلاً،ثم تذكرت من هو الدكتور سامى،فقالت لها باضطراب : " وازاى الدكتور سامى " ردت عليها: إنه يريد محادثتك :

ـ مساء الخير يا مدام يسرية.

ـ أهلاً بك يا دكتور سامى.

ـ عايز أقابلك فيه أمر مهم.٠٠ وح يكون فى العيادة زى المرة اللى فاتت، وياريت يكون بكره.

ـ حاضر.

وضعت سماعة الهاتف،وشردت كثيراً تفكر فى هذا اللقاء

الذى جاء مباغتاً،وراحت تفكر فى زوجها والحجة التى تتحجج بها للخروج وحدها.

المعلم عبد العال يمشى مختالاً مزهوا بشرائه شقه رومى. معلمو الوكالة عرفوا بذلك وذهبوا يباركون له. يفعل كل ذلك من أجل حمادة الذى امتلك سويداء قلبه،يتلهف عليه وهو معه،يحضره معه يومياً إلى الوكالة وجميع صبية المعلم فى خدمته. الويل كل الويل لمن يتوانى أو يغفل عنه حتى ولو لحظة. لم يبال بشعور أخواته وإن كن بدأن يشعرن تجاه أخيهم بالظلم والغبن. لاتجرؤ إحداهن على إظهار حتى مجرد الاعتراض على تصرف ما. يندهشن من أبيهن وقد بلغ أخوهن الرابعة من عمره ومازال ينام بفراشه. كثيراً ما أثرن موضوع التفرقة مع أمهن، وهى لاتستطيع الإجابة وتحار فى الرد عليهن.

ذات مرة جلست يسرية فى ساعة صفاء مع عبد العال وفاتحته فى تفرقته بين الولد والبنات،وما إن انتهت من كلامها حتى صب عليها جام غضبه،وأطلق للسانه العنان يسب ويشتم،وأنه صاحب المال وليس لأحد أن يسأله عما يفعل.

جاء موعد اللقاء،العيادة مزدحمة وسميرة مشغولة تماماً فى عملها مابين الرد على التليفون وتساؤلات المرضى وترتيب الدخول. دخلت يسرية فى وقار،اتجهت نحو سميرة وهى منهمكة وسط العديد من الملفات تطلب منها مقابلة الدكتور. ترد عليها سميرة بجفاء دون أن ترفع عينيها من على الأوراق التى أمامها. تعتذر لها أن الدكتور لايقبل اليوم أى كشوفات جديدة،ويجب عليك أن تحجزى مقدماً والموعد سيكون بعد شهر من الآن. ضحكت يسرية وهى تقول لها :

ـ بس هو اللى عايزنى.٠٠ مش أنا اللى عايزاه.

رفعت سميرة وجهها لترى من المتحدثة٠٠٠لم تعطها مهلة.٠٠قالت لها:أنا يسرية.

ـ أهلاً يسرية هانم.٠٠ آسفة.٠٠ آسفة جداً ياهانم.٠ اتفضلى

www.alkottob.com

وأنا ح أبلغه على طول.. تحبى حضرتك تشربى إيه؟

- مالوش لزوم.. أنا مستعجلة.

تعرف سميرة مدى أهمية هذه السيدة بالنسبة للدكتور سامى وأنه سوف يطلب مقابلتها بعد انتهائه من المريضة التى تحت الكشف. دخلت عليه أثناء عمله على غير عادتها. نظر إليها نظرة توبيخ أحست بها، سارعت تهمس فى أذنه،قال لها :

- " دخليها بعد دى على طول ". مرت دقائق معدودة،أذنت لها بالدخول. قابلها بترحاب وأدب جم،ثم نظر لمساعدته يأمرها بالانصراف. فانصرفت.

- خير يادكتور فيه إيه؟

- أرمانيوس ح يهاجر إلى أمريكا ومعاه بنتك - يا نهار اسود ! وضربت على صدرها بكفها وهى تردد : مش معقول... مش معقول !

شعر الدكتور سامى بأن يسرية ستنهار من وقع الخبر عليها. قام من جلسته يهدئ من روعها وكاد أن يغمى عليها،ومال عليها وبهدوء شديد قال لها :

- علشان كده عايزين نحل الموضوع بسرعة. رجاها أن تتمالك أعصابها وتركز تفكيرها حتى يستطيعا أن يجيدا التخطيط فى الأيام القادمة،حدقت بعينيها وهى تتفحص وجهه تسأله :

- وليه ح يهاجر ؟

تنهد تنهيدة طويلة ثم جلس يحرك كرسيه ليقترب منها،حكى لها أن رومى قد تعرض لحريق بالوكالة أكلت الأخضر واليابس،ثم باع شقته بالزمالك لأحد معلمى الوكالة،وسيأخذ ماتيلدا زوجته وجاكى ابنتك معه.

تحجرت مقلتاها،بردت أطرافها،ارتعشت فرائصها حينما سمعت شقة الزمالك واسم رومى وجاكى،شعرت بدوار،ثم راحت فى إغماءة. كان حريصاً ألا يحدث جلبة أو ضوضاء داخل عيادته. راح يتصرف بحكمة مستخدماً مالديه داخل غرفة

الكشف لإفاقتها،انتظر عليها قليلاً سمعها تهذى رومى.. وجاكى... رومى... جاكى.. أنا شفت بنتى ومعرفتهاش.

بذل الطبيب محاولات لإفاقتها،اندهش لإغمائها المفاجئ. لم يكن فى الحديث من وجهة نظره شئ يهز الكيان ويفقد التوازن،لابد أن الأمر يحوى جديداً. ضربة بلاوعى جاءت على الوتر الحساس سقطت على إثرها مغشية عليها.جلس قبالتها مستغرباً،بل متصنعاً الهدوء رغم ما بداخله من تساؤلات. يحاول طمأنتها حتى يقف على حقيقة ما حدث. طلبت منه كوباً من الماء. لم يود أن يضغط على الجرس ويطلب الكوب،قام بنفسه إلى ثلاجته الصغيرة الموجودة داخل غرفة الكشف وأحضر لها كوب الماء،شربت نصفه. ولما أحس بأن وعيها الكامل عاد إليها سألها :

- فيه إيه... إيه اللى حصل لك؟

ابتلعت ريقها،واستجمعت قواها،ولملمت مشاعرها.

- أنت عارف يادكتور مين اللى اشترى الشقة بتاعة رومى فى الزمالك؟

- عارف انه معلم فى وكالة البلح.

- ده جوزى.

أذهلته المفاجأة،قام من جلسته ثم جذبها إليه يتفرس فى وجهها،يتمنى أن تكون كاذبة،فإن القدر ليس بهذه القسوة حتى تتعقد المشكلة أكثر من ذلك،لايتمنى أن يكون هناك ارتباط آخر بين العائلتين،قال :

- يعنى انت رحتى الشقة وشفتيها،وقابلتى ماتيلدا ورومى وجاكى.

امسكت بكتفه تضغط بشدة :

- شفت بنتى يادكتور.. شفت بنتى يادكتور وحبيتها ودلوقت عرفت ليه أنا حبيتها؟

www.alkottob.com

تنهنه بالبكاء والدموع تذرف بغزارة،تمسك بيديه،تركع على ركبتيها تتوسل بعينيها وكأنها غريق يتشبث بقشة بغية أن تلوذ بالنجاة،تستحلفه ألا يتركها وحدها وسوف تكون رهن إشارته لحل هذا الموضوع.

أحس بمضى وقت طويل ومرضاه فى الخارج ينتظرونه. ربت على كتفها وطلب منها أن تتماسك وتعيد توازنها لتتصرف وسوف يخطط للقاء سلفانا أخت رومى وهو على يقين بأن وجودها معه سيحل عقداً كثيرة. ودعته وانصرفت دون أن تلتفت إلى سميرة أو تشكرها.

انتهى من عمله كعادته على مشارف فجر جديد وقد استحوذ موضوع جاكى والسيدة يسرية على كل أفكاره. وفى نهار اليوم وقبل أن يذهب إلى عمله سمع رنين المحمول. نظر فى الشاشة عرف أنها مكالمة خارجية.

- آلو.. مين؟

- أنا سلفانا ياسامى.. فيه ظروف طرأت.

- خير ياسلفانا؟

- ادوارد جوزى نقلوه إلى المستشفى حالة التهاب حاد فى المصران الأعور. ح يدخل حجرة العمليات.

- سلامته.. وبعدين؟

- مجيئى ح يتأخر على الأقل أسبوع أو عشرة أيام.

- ربنا يطمنك عليه ياسلفانا.. ح اتصل بيكى بعد شويه أطمن عليه.

أنهى المكالمة الهاتفية حزيناً. كان يود أن يضرب على الحديد وهو ساخن. لكن هذه مشيئة الرب. ذهب إلى عمله مكتئباً،قرر بداخله ألا يبلغ رومى بما حدث لزوج أخته إدوارد حتى لا يقلقه.

عافت نفس يسرية الطعام والزاد،تقتات بالقليل لكى تصلب عودها فقط. صورة جاكى لاتفارقها ليلاً أو نهاراً. تتزوى فى أى غرفة وتجهش بالبكاء. تخاف أن يراها أحد فيسألها عما بها؟.

تنظر إلى حمادة بشجن شديد وكأنها تودعه الوداع الأخير، لابد أن يعود لأبويه الحقيقيين، ضحكات حمادة تملأ أذنيها،

مداعبته ومواقفه الطريفة تشاهدها على شريط يدور بمخيلتها. تقترب منه،تلتصق به،تحتضنه،تمطره بالقبلات،والطفل البرئ لايعرف سبب كل هذه اللهفة المفاجئة من أمه.

تتوسل إلى أبيه أن يتركه بالبيت أطول فترة ممكنة، مرة تتعلل ببرودة الجو بالخارج،وأخرى بسبب توعكه صحياً وأعذار وأعذار تحاول أن تقنع بها المعلم عبد العال الذى لا يرضخ لها فى كثير من الأحيان،كلما سمعت رنين الهاتف تجرى لترفع السماعة على غير عادتها ربما يكون المتحدث الدكتور سامى،حتى إن الخادمة استغربت لتصرفاتها. بل امتد الاستغراب إلى بناتها أيضاً اللائى أحسسن بتغيير فى سلوكيات أمهن. يتغامزن ويتهامسن بأن حمى اللهفة على الولد انتقلت من أبيهن إلى أمهن.

مر يومان ولم يتصل بها الدكتور سامى،قررت المجازفة والاتصال به لأنها تعرف أن أخت رومى من المفترض أن تكون وصلت القاهرة. رد عليها يخبرها بالظرف الطارئ الذى حدث لزوجها إدوارد،وأن سلفانا أجلت المجئ لمدة عشرة أيام على الأقل حتى يتماثل زوجها للشفاء.

فى آخر أيام الأسبوع فوجئت المرضة سميرة بحضور رومى وماتيلدا للعيادة رحبت بهما سألتهما؟

- خير.. المدام تعبانة.. المدام حامل؟

ابتسما معا وقالا فى صوت واحد : نود أن نقابل الدكتور سامى لأمر هام. لم يكن الدكتور سامى قد بدأ فى عمله،كان فى فترة ما قبل العمل. حادثته بالتليفون الداخلى تخبره بالضيوف،أذن لهما وسلم على ماتيلدا، واحتضن رومى، وقال له :

- زيارة مفاجئة.. ماتيلدا تعبانة؟

- احنا جايين نسلم عليك،أخذنا تأشيرة الهجرة وحجزنا للسفر فجر اليوم.

www.alkottob.com

أسقط فى يده،أحس بدقة مطرقة على رأسه،ترنح من فرط الصدمة،تلفت حوله دون وعى،رومى وماتيلدا ينظران إليه بدهشة واستغراب،تلعثم لسانه. وقفت الكلمات فى حلقه،تاه لحظات،ثم أفاق بدافع الموقف ووجود رومى وماتيلدا ماثلين أمامه مشدوهين فاغرى الفيه. جاءه وازع داخلى لابد له أن يتماسك،أمعن النظر ثم راح فى ضحك هيستيرى،نطق رومى يسأله : ماسر هذا الضحك؟ لاحظ تغييراً مفاجئاً لاح على وجه الطبيب، وصمتت الضحكات الهيستيرية. رد عليه بسخرية: إنها ألاعيب القدر يا رومى !! همّا بالانصراف،مد يده يسلم عليهما،يتمنى لهما ولجاكى حياة سعيدة فى بلد المهجر.

الحديث بينهما داخل السيارة عن سامى وهذه المقابلة الغريبة، إنهما يعهدان منه دائماً الاتزان والرصانة. لكن ما رأياه هذه الليلة غريب. لم ينشغلا بالاً فموعد الطائرة بعد ساعات قليلة باق بعض الزيارات الهامة لابد من إتمامها.

الدكتور سامى يحدق فى سقف الغرفة يناجى ربه،لقد بذل كل مافى وسعه ورتب الخطط لكشف الحقيقة وإعادة الأمور إلى نصابها،لكن هذه إرادة الرب،وهو القادر على كل شيء. لقد أخبر سلفانا شقيقة رومى بالموضوع،ربما تتصرف معه فى بلاد الغربة.

تذكر باباً مازال مفتوحاً يجب عليه إغلاقه حتى يحجب دخول الرياح فتعبث مرة أخرى بالأوراق التى أصبحت غير ذى قيمة بعد هجرتهم إلى أمريكا. إنه باب السيدة يسرية التى يقدّرها حق تقدير،لم ينس موقفها معه وكيف أنها رضخت لرغباته وخططه ووضعت نفسها تحت أمره،وكانت جادة لتصحيح الوضع وتعاونت معه إلى أقصى درجة لعل الله يغفر لها هذا الجرم. لذا قرر أن يخبرها بآخر التطورات. ولايدرى ماذا يكون وقع الخبر عليها؟ تمهل وأرجأ ذلك لليوم التالى اقتناعاً منه بأنه قد سبق السيف العذل،ولم يعد بالإمكان تدارك أي شيء، ومارس عمله هذه الليلة،وحالته المزاجية لم تكن جيدة.

المقابلة أليمة مريرة،ذرفت فيها يسرية دموعاً كثيرة عندما علمت بسفر ابنتها جاكى مع أبويها غير الحقيقيين إلى أمريكا لتعيش عمرها هناك،حاول سامى أن يواسيها ويصبرها على هذا البلاء بعد أن أحسن منها بدموع الندم الحقيقية .افترقا فى وداع أخير.

المعلم عبد العال يلحق ابنه بأرقى المدارس الأجنبية،لايبخل عليه بشيء، يدفع المصاريف بالعملة الأجنبية ولايبالى. كرّس كل اهتمامه لابنه الوحيد،يضعه وطلباته نصب عينيه،لايود أن يفارقه،والولد يزداد تعلقاً به،وأصبح يخاف عليه من الحسد،ودائما مايعوذه من الشيطان الرجيم. أثلج صدره أن تجارته تزداد وتنمو،يعزو ذلك إلى مقدم ابنه ودائما مايقول عنه "وش السعد". يتفاءل بتقبيله قبل إتمام أى صفقة سواء أكانت كبيرة أم صغيرة.

تغير المعلم عبد العال كثيراً بعد مقدم حمادة، وصار يحب الجميع،يميل دائماً لأعمال الخير خاصة مع أهل منطقته سواء فى الوكالة أو السكن،فلم يترك مناسبة إلا وينحر الذبائح ويوزع على فقراء " الحتة " ومساكينها. الكل يدعو له ولابنه.

يضع على مكتبه لوحه خشبية صغيرة محفوراً عليها بخط جميل " ماجاع فقير إلا من بخل غني ". فوجئت سلفانا بمكالمة هاتفية من رومى يخبرها بموعد وصولهم. لم تكن تتوقع أن تنتهى إجراءات التأشيرة بهذه السرعة رغم أنها هى التى أوصت معارفها بالإسراع فى ذلك.إدوارد زوجها مازال بالمستشفى يعانى من بعض المشاكل الصحية إثر العملية الجراحية المفاجئة له. ليس أمامها إلا الترحيب بأخيها وتمنياتها بوصولهم بسلامه الله.

وبعد أن انتهت المكالمة،تذكرت حديث الدكتور سامى وموضوع الابنة جاكى،ماذا تفعل الآن؟ ما باليد حيلة،فى المساء سوف تكون بالمطار لاستقبالهم،ويجب عليها أن تحسن

www.alkottob.com

الاستقبال،فالأمر متعلق بأخيها الوحيد رومى حبيب القلب وقرة العين. كم هى مسرورة لمقدمه ليعيش معها فى نفس البلد، أما عن جاكى فربما لا يكون الدكتور سامى على حق أو تكون مجرد شكوك تراوده. عليها أن تطرح هذا الموضوع وراء ظهرها،وتفرغ نفسها وزوجها بعد شفائه لتدبير حياة سعيدة لأخيها وأسرته.

أعلنت إذاعة المطار عن وصول الرحلة المرتقبة. سلفانا تنتظر بلهفة بالغة رؤية أخيها وأسرته. لم تمض سوى دقائق حتى رأته من وراء حاجز،تبادلا القبلات والإشارات فى الهواء،خرجوا تقابلهم بالأحضان الحارة إلى أن جاءت لجاكى ! ركزت عليها رأت براءة عينيها وبشاشة وجهها،انحنت إليها تقبلها،ثم رفعتها إلى صدرها تضمها فى حنان بالغ وتلثمها بقبلات متتالية تقول لها : ما أجملك ياجاكى !

سأل رومى عن إدوارد،طأطأت رأسها تقول له بحزن عميق : إنه يرقد حالياً بالمستشفى إثر عملية جراحية مفاجئة،نتج عنها بعض المضاعفات تسأل الرب أن يمن عليه بالشفاء العاجل. حزن رومى وزوجته لهذا الخبر المفاجئ وأصرا على أن يذهبوا جميعاً إلى المستشفى لزيارته والاطمئنان عليه. وصلوا إلى المستشفى تتقدمهم سلفانا إلى غرفة زوجها المريض، فتحت الباب، وجدت سريره خالياً ومرتباً. غاص قلبها فى قدميها. جرت نحو" التواليت " لم تجد أحداً،صرخت بعصبية : أين إدوارد؟

كادت تفقد توازنها وتسقط على الأرض من فرط الخوف والرعب على زوجها. بحركة سريعة أمسك بها شقيقها رومى وأسندها إلى صدره،يهدئ من روعها،ويطمئنها بكلمات هى فى مسيس الحاجة إليها " إن شاء الرب.. إدوارد بخير ". وأثناء تكراره لهذه العبارة جاءت الممرضة تهرول نحو الصياح الذى دوّى فى أرجاء المستشفى. فلما رأتها سلفانا اتجهت نحوها و أمسكت

بها تهزها تبكى تسألها : أين إدوارد؟ هل أصابه مكروه؟.

ابتسمت الممرضة،بعثت الابتسامة الحياة فى وجه سلفانا،أذهبت الفزع والهلع اللذين ألمّا بها. تقول لها : إدوارد بخير،جاء الاستشارى وفحص زوجك فحصاً دقيقاً،ورأى أنه ليس بحاجة للمكوث بالمستشفى أكثر من ذلك،إنه يحتاج بعض الأدوية البسيطة يمكن تناولها فى المنزل. لذلك فقد أشر في ملفه بالخروج،والآن هو بالدور الأول ينهى إجراءات خروجه من المستشفى.

انفرجت الأسارير وانشرحت الوجوه جميعها،تبدل الحال،رحلت علامات الحزن وارتسمت علامات الفرح والسرور. كان خوف رومى كبيراً فلم يتوقع أن يكون يوم قدومه فيه كارثة لسلفانا. إنه لفأل سيىء يتغير معه كل شيء،ولربما عاد مرة أخرى إلى موطنه الأصلى وضاعت الآمال والأحلام،لكن الرب الكريم جاد عليهم جميعاً بالفضل وأصبح الفأل الحسن أن يخرج إدوارد من المستشفى معافى مع قدوم رومى وماتيلدا وابنتهما.

هبطوا جميعاً إلى الدور الأول حيث اللقاء بإدوارد وهو واقف على قدميه بملابسه العادية يحمد الرب على نعمة الشفاء. الأحضان والقبلات والتسليمات حارة،ودودة،حميمة. لم ترغب سلفانا أن تحكى لزوجها عن القلق الذى أصابها عند دخولها غرفته ولم تجده،لم تشأ أن تعيد ذكريات هذه اللحظة الأليمة.

رحب إدوارد بروميى وأسرته ترحيباً شديداً. لايعتبره شقيق زوجته فحسب بل يحظى لديه بحب الصداقة قبل أن يتزوج سلفانا الجميلة. اقترب من جاكى يداعبها، وتمنى من الرب أن يرزقه بالخلفة حيث مر على زواجه من سلفانا سنوات ليست بالقليلة لم ينجبا فيها رغم الفحوصات الطبية التى لم تقطع بفقدان الأمل سواء له أو لزوجته،يدعو الرب أن تكون له ابنة مثل جاكى.

www.alkottob.com

الطريق من المستشفى إلى الفيلا طويل،الجميع يبثون الأشواق،يتجاذبون أطراف الحديث حول الأحوال فى مصر والظروف التى مر بها رومى خلال الشهور السابقة. إدوارد وسلفانا يطمئنانه بأن المستقبل فى أمريكا سوف يكون أحسن،وأن مناخ العمل يساعد على الكسب والحياة الكريمة.

الفيلا فى منطقة راقية وفى موقع متميز يتصدر مدخلها حمام للسباحة تحيط به بعض المساحات الخضراء وأحواض الزهور النضرة التى تسر الناظرين. كانت دهشة رومى بالغة حينما رأى أن أخته قد خصصت جناحاً مستقلاً له ولأسرته،وقد زاده دهشة تلك اللعب المختلفة الأنواع والأحجام لطفلته الصغيرة جاكى. فرغم أنها ليس لديها أطفال لم تنس جاكى ومتطلباتها. سأل رومى شقيقته كيف رتبت كل ذلك رغم أن مجيئهم كان مفاجئاً،أجابته بأنها أعدت لهذا اليوم من فترة.

ماتيلدا تثنى على سلفانا،وتقول لها ليس هذا بالمستغرب عليك، لن نكون ضيوفاً ثقلاء الظل لمدة طويلة. تعاتبها سلفانا وهى تحتضنها وتقبلها،وترد عليها بأنكم لستم ضيوفاً بل أصحاب المكان. يبدو الإرهاق على رومى وماتيلدا من أثر الرحلة الطويلة الشاقة،فضلاً أن يناما ويتركا أمتعتهما بالحقائب كماهى حتى الصباح.

رومى يسأل جاكى :

- ح تنامى فى حضنى ولا حضن ماما؟

- ح أنام معاكم أنتم الاتنين- السرير هنا مايخدناش كلنا.. أقولك نامى فى سرير لوحدك جنبنا.

- مش ح يجيلى نوم يا بابى.

ماتيلدا تتدخل وتكلم رومى :

- السرير على عجل يا رومى ضم السريرين على بعض.

- والله فكرة.

ناموا جميعاً وراحوا فى سبات عميق من أثر الإجهاد.

الثلج الأبيض يتساقط من السماء كأنه حبات من اللؤلؤ يكسو الأشجار والأسطح بحلة بيضاء زاهية فى منظر رائع بديع. الهواء نقى يشفى العليل. الضوء يتسلل رويداً رويداً،يعلن عن يوم جديد فى بلد المهجر.

الأمل يتوهج مع إشراقة اليوم الجديد،النظرة التفاؤلية إلى كل الأشياء والأحداث. بلاد الغربة يراها فاتحة أذرعها لكل عقل متفتح أو لرجل جاد. يحتاج فقط إلى الدفعة الأولى أوكما يطلقون عليها الشرارة اللازمة للاشعال، هى موجودة متمثلة فى دعم شقيقته وزوجها،اللذين يعرفان مفاتيح العمل ومتى وكيف تكون البداية،سلفانا تطمئن رومى وتناشده التؤدة والتريث، صفات تراها ضرورية فى مثل هذه الحالات،كيف لا؟ وهى صاحبة تجربة ناجحة فى بلد المهجر. حتى يتحقق النجاح لابد له من تخطيط جيد مع بداية رشيدة حكيمة، يتطلب معرفة دقيقة وحقيقية بالولاية التى يعيشون فيها ،طبيعتها، أنشطتها، مميزاتها.. وأشياء أخرى كثيرة. أهمها التعرف على بعض الشخصيات الأمريكية التي تعمل فى مجال المال. من حسن الحظ أن إدوارد شخصية محبوبة وله معارف وعلاقات كثيرة، يحظى بثقة كثير من الأمريكان وغيرهم. ومما لاشك فيه أن رومى سوف يلقى ترحيباً عندما يعلمون أنه شقيق سلفانا.

بدأت سلفانا ترتب الزيارات والجلسات وتصطحب معها رومى وأسرته فى كل مرة. يتعرف رومى يومياً على شخصيات جديدة، لم يجد صعوبة فى إنشاء علاقات معهم

لأنه حلو اللسان لبق الحديث،كذلك زوجته ماتيلدا وجاكى اللتان تضفيان روح المرح على كل لقاء. أصبحت حفلات الإجازات الأسبوعية لاتخلو منهم وإذا تغيبوا لعذر ما يسألون عنهم،كأنهم جزء من كيان هذه اللقاءات.

مرت شهور ورومى يرقب ويفحص ويمحص كل شيء عن كثب حتى بدأ يفكر جدياً فى العمل ونوعه متأثراً بخبرته الطويلة فى

www.alkottob.com

التجارة خلال فترة عمله بوكالة البلح بموطنه الأصلى،راح ينقب عن أماكن الخردة،وكيف يتعامل معها؟

استأجر قطعة أرض فضاء شاسعة أحاطها بسور،وبفكره الواعى وإدارته وبالمساعدة المادية من إدوارد وكذلك البنوك،استطاع أن يشترى بعض المعدات المكهنة من المصانع،وبعض السيارات التى انتهت " موديلاتها ". هدفه الرئيسى من ذلك هو تصدير " لوطات " خردة إلى مصر ليست لها قيمة فى أمريكا،ولكنها بالغة القيمةفى مصر. الأمر يستلزم أن يكون له عميل أمين يطمئن إليه فى بلده ووطنه. ورد على ذهنه للوهلة الأولى المعلم عبد العال الذى اشترى شقته بالزمالك وقد عهد فيه التدين والأمانة.

استبشر خيراً بهذه الفكرة،سأل ماتيلدا،أيدت رأيه وطلبت منه أن يكون شريكاً له،وليس مجرد عميل فهو يستحق ذلك وأكثر. بدأ يخطط لذلك، قرر الاتصال به ليعرض عليه الأمر.

الفصل السابع

عبدالعال يهنأ بحياة هادئة، فرحان دائماً وكأنه ملك الدنيا بيديه. تحققت كل أمانيه، آخرها وأهمها إنجاب حمادة ولده من صلبه، يعشقه، يقر عينه كل صباح ومساء. لم يعد شيء ينغص عليه حياته ،يفتح الله عليه فى رزقه، يقدر ذلك فيزداد حبه لعمل الخير، ينفق فى سبيله دون تردد. لكن القدر لم يدعه ينعم بذلك طويلاً.

جاءته يسرية ذات ليلة مهمومة مضطربة تخبره بأن ورماً ما ظهر بأحد ثدييها .الشك والقلق يقتلانها، تخاف أن يكون ذلك المرض اللعين الذى سمعت وتسمع عنه كثيراً، تحدثه ولون وجهها باهت وشفتاها ترتعشان من الخوف. الدموع تجمدت فى مقلتيها، وضع يده على كتفها وقال :

- ماتشغليش بالك إن شاء الله حاجة بسيطة.
- مش باين يا ابو حمادة.. قالتها وفى حلقها غصة .
- كتير من الأورام دى تطلع حميدة. وانت زى الفل أهو... ح اشوفلك أحسن دكتور واحجز لك عنده.
- الورم بيكبر يا أبو حمادة والموضوع لازم يتشاف بدرى
- جرى إيه يايسرية.. ماتصلى على النبى امال.. هو لازم

www.alkottob.com

الشيطان يلعب بيكى ؟

لم يكن الحديث هيناً لدى عبد العال وإن تظاهر بعكس ذلك، قاد سيارته وكلام زوجته يرن فى أذنيه. ازداد حبه لها بعد أن أنجبت حمادة، يكفيه أنها أم له، لايستغنى عنها.. أصبحت مهمة بالنسبة له، لايعرف كثيراً عن بناته، عمله يأخذ كل وقته، يقينه أنها أصيلة، بدأت معه من الصفر. جلس بالمحل يفكر ماذا يفعل لو صدق تخمينها.؟ أغرورقت عيناه بالدموع. سأل عن طبيب مشهور فى هذا التخصص دلوه عليه، أخذها وذهب إليه. وبعد الفحص طلب الطبيب إجراء الأشعات والتحاليل المعتادة في مثل هذه الأورام. انتحى به عبد العال جانباً يسأله عن حقيقة مرضها، فأجابه بأن نتيجة فحصه تجعله غير متفائل.

أحس وهو جالس بذبذبات المحمول فى جيبه.. لايود أن يسمع صوتاً من تليفونه أيا كان موسيقى أو غيرها لذا جعله في وضع صامت.التقطه ينظر إلى الشاشة ليعرف الطالب، لم يجد رقماً، فتح الهاتف :

- ألو مين ؟

- أنا رومى يامعلم عبد العال.

- رومى مين ؟

- أرمانيوس يامعلم زميلك القديم بالوكالة صاحب شقة الزمالك.

قام فى حركة لا شعورية يتكلم واقفاً بصوت عالٍ وقد ارتسمت على وجهه ملامح الجدية :

- أهلاً رومى أنت بتتكلم من مصر ولا من أمريكا؟

- من أمريكا يامعلم.

- جبت تليفونى منين؟

- معايا من زمان يا عبد العال.

- خير ياباشمهندس.. عايز ترجع فى البيعة ولا إيه ؟

- لا.. فيه حاجة أكبر من كده.. عايزك تكون شريكى فى القاهرة.

- شريكك وأنت فى أمريكا... ازاى؟

بدا رومى يشرح له مشروع الشراكة وما يفعله هو فى أمريكا وما هو مطلوب من عبد العال فى مصر، وكيف أن هذا المشروع سوف يدر عليهما ربحاً كبيراً. المعلم يصغى بانتباه. يومئ برأسه على كل ما يسمعه ويعلن موافقته المبدئية. أنهى رومى حديثه بأنه سوف يرسل له محامياً لاتخاذ الإجراءات القانونية لإنشاء الشركة بينهما.

اندهش عبدالعال من هذه المكالمة المفاجئة التى لم يكن يتوقعها من أرمانيوس، وأكثر ما اندهش إليه، لماذا اختاره وهو مسلم، ولم يختر تاجراً مسيحياً وهم كثيرون؟ قرر أن يسأله فى ذلك فى حديث قادم.

اليوم موعد استلام تقارير التحاليل الخاصة ببسرية، أغلق المحل وتوجه إلى مسجد الحسين، ليصلى العشاء، ويدعو الله بأن تأتى العواقب سليمة قبل أن يذهب الى المختبر،انتهى من صلاته ودعواته، ركب سيارته متوجهاً الى المختبر، دخل المصعد وهو يتمتم بآيات من القرآن الكريم. توجه إلى المسئول أعطاه الإيصال. استلم منه المظروف مغلقاً، مال عليه يسأله:

- ممكن تقوللى نتيجة التحليل.. يمكن تطمنى.

- ما أعرفش يابا الحاج.

- ما تعرفش ازاى يابنى؟

- لازم الدكتور المعالج هو اللى يقراه ويقولك اللى فيه.

- طب ما فيش دكتور هنا يقراهولى ويطمنى.

- كلهم مشيو ياعم الحاج.. روح للدكتور بتاعك أحسن.

وضع المظروف فى جيبه، طلب الطبيب فى عيادته ليتأكد من وجوده، رد عليه بأنه فى انتظاره.

www.alkottob.com

علامات الحزن كست ملامح وجهه، قضاء الله لامفر منه، المرض اللعين تمكن من الجسد الطيب، ترك سيارته أمام باب العمارة التى بها عيادة الطبيب، حالته الذهنية لا تؤهله لقيادتها، الخبر الذى سمعه صدمه بقوة، المرض فى مرحلة متقدمة يجب استئصال الشدى بأسرع مايكون، هكذا قال الطبيب، ماذا يقول لها وهى تنتظر النتيجة على أحر من الجمر، كيف يخبرها؟ الدنيا ظلام فى ظلام، هل هناك بصيص من الأمل؟. من أين يأتى؟ الطبيب جازم حازم فى كلامه، لديه من المال الكثير، يستطيع أن يسافر بها إلى أى بلد بالخارج متقدم فى علاج هذا المرض، تستحق منه أكثر من ذلك. يجب عليه أن يطرق كل السبل ويأخذ بالأسباب والباقى على الله سبحانه وتعالى. هداه تفكيره أن يذهب إلى شقيقتها، يعرف أنها تحبها كثيراً. ماذا سيقول للشقيقة ؟ لم يتعود الذهاب إليها منفرداً.

أحس بثقل الهموم على رأسه، يتمنى أن يشرك غيره فى حمله فقد تعب من الإجهاد الفكرى، إنها فعلاً فتحية أفضل من تنقل عنه الخبر الحزين.

ذهلت عندما فتحت الباب ورأت المعلم عبدالعال وحده وهذامالم يحدث سابقاً. استشعرت بأن الأمر جد خطير. دققت النظر فى عينيه، أرخاهما حتى لاتقرأ كل شيء فيهما، أحس بأن ساقيه لا تقويان على حمله، دلف إلى الصالون دون أن ينطق ببنت شفة. هى وراءه تقول له : " خير يا معلم اللهم اجعله خير".

- مافيش خير ولاحاجة يا فتحية.

امتقع لون فتحية وضربت بكفها على صدرها. وهى تقول :

- وشك بيقول إن فيه مصيبة... اوع تقولى يسرية بيها حاجة.

- حاجات كتير يا فتحية... أختك مريضة بـ...

- ماتنطقش أوع تكمل.

- دى الحقيقة.. استلمت التحليلات من ساعة.

ألقت بنفسهاعلى الكرسى وأسندت رأسها على المسندتكرر :

لاحول ولاقوة إلابالله.

- دلوقت الدكتور بيقول لازم عملية حالاً.. ح نعمل ايه؟

انفجرت الدموع من عينى فتحية حزناً على مرض شقيقتها، اتفقت ه على أن تقوم هى بإبلاغها بطريقتها الخاصة.

عاد المعلم عبد العال إلى الطبيب مرة أخرى ليسأله عن إمكانية علاجها بالخارج إذا كان ذلك أفضل. لم يخف الطبيب عنه الحقيقة وهى أن المرض فى مرحلة متقدمة ويخشى انتشاره والخوف كل الخوف أن يصل إلى الرئة... سأل هل تسعل كثيراً؟ أجابه لا.

ابتلع ريقه بصعوبة وقد انكسر صوته ولم تخرج الكلمات من فمه وهو يودعه بإشارات كالبكم على وعد بلقاء قريب.

الشقيقتان فى غرفة النوم. الوجهان شاحبان والعيون مرتابة، لابد من مفاتحتها، ليس من مصلحتها الإخفاء عنها. بدأت فتحية تسألها عن الورم الذى سبق أن حكت لها عنه. يسرية استشعرت أن فى الأمر شيئاً، نبضات قلبها تتزايد، أمسكت بيد أختها تستحلفها إن كانت تعرف شيئاً، تشجعت فتحية وأخبرتها بزيارة المعلم عبد العال وماحدث، قالت يسرية وقد استسلمت لأمر ربها.

- أنا كنت عارفة ان التحليل ح يطلع كده... قلبى كان حاسس.

- لازم يكون إيمانك بالله قوى.. وان شاء الله تعملى العملية وتبقى زى الفل.

- فل منين يافتحية.. ده غضب ربنا علىّ. ربنا بيخلص منى فى الدنيا... انا ارتكبت اثم كبير قوى ودلوقت بادفع الثمن، لكنى مش زعلانه. يمكن ربنا بيخلص منى فى الدنيا أحسن مايخلص منى فى الآخرة. كان نفسى أصلح الغلط.

- إنسى كل حاجة دلوقت يايسرية وفكرى فى نفسك، الدكتور مستعجل على العملية.

www.alkottob.com

انصرفت فتحية على لقاء فى الغد لمصاحبتها للبدء فى اتخاذ الاجراءات لعمل عملية الاستئصال.

يسرية تتوضأ وتصلى وتطيل السجود، تذرف الدموع حتى ابتلت السجادة. بعدها طلبت أن تجتمع ببناتها.

لماذا بناتها ؟ شيء طبيعى غريزى عندما تواجه الإنسان أزمة ما، فإذا كانت مستحكمة كتلك الأزمة فإلى من يلجأ بعد الله سبحانه وتعالى ؟ إنه يلجأ إلى من يحب أولاً. الدافع الغريزى يتحرك دونما تخطيط أو ترشيد أو إرادة، ينطلق وحده نحو العواطف، يؤججها خوفاً على من يحب.

بناتها فلذات كبدها أول تفكيرها. المصيبة كبيرة والأيام القادمة حبلى بالمآسى كل شيء فى حياتها يتجه نحو الأفول.ماذا لو ماتت؟ لاتملك عمرها. بناتها كل شيء فى حياتها. كانت تتمنى أن تفرح بزواجهن، ترى الأمل يخبو رويداً رويداً.

فى حياتها سر خطير لا يعرفنه. هل تصارحهن ؟ هل تفضح سر هذا الولد الذى أحبته وأحببنه معها، لم تحس أبداً باختلاف مشاعرها نحوه، إنه مثلهن تماماً. مرات عديدة تسائل نفسها عن مقدار حبها له. هل هو أقل من بناتها اللاتى تربعن داخل أحشائها؟ عادة ماتنتهى إلى.. لا فرق. إنها فى محنة شديدة تصدق فيها الأحاسيس. لحظة اختبار يكاشف فيها المرء نفسه، تظهر المشاعر الحقيقية دون زيف أو تحريف. نعم تحس كأنه ابنها الذى ارتبط معها بالحبل السُرّى.

تغذى وكَبُر داخل رَحِمها. مع النفس اللوامة وكثرة تأنيب الضمير تتصور أحياناً أن موضوع جاكى نوع من أحلام اليقظة أو ربما نسيج من خيال جائع. يحلم الإنسان أحياناً من كثرة التمنى، لكنها أحلام عابرة لاتنفى ولاتلغى الحقيقة.هل يحاسبها الله حساباً عسيراً؟ إنها لحظة ضعف. وهل فى لحظات الضعف يكون نفس العقاب؟ أى درجة فى النار ستلقى؟ فى الدرك

الأسفل ؟ يقشعر بدنها. لا... لا لقد حاولت إصلاح خطئها. لم تتمكن. مشرط الجراح يبرق أمام عينيها يستقطع جزءاً من جسدها. يا إلهى إنه الذى أرضع حمادة ومنحه الحياة.هذا عدل الله ؟ ! إنه أول جزء من جسدها لامس فم حمادة، ما أعظم قدرة الله، حاولت إرضاء الزوج بمعصية الله، وها هى تجنى نتاج جهلها وغبائها. تناديه وهي ذرة من تراب، لعلَّ العذاب فى الدنيا يكون نجاة لها فى الآخرة.

تكاد تجن هل تقول لبناتها؟ لا ليس كلهن بل تكفى الكبيرة فقط.لكنها ماذا ستفعل ؟ ستفتح جرحاً يظل ينزف دماً وقيحاً والنتيجة صفر. جاكى الحبيبة الآن فى أمريكا على بعد آلاف الأميال. حمادة فى قلب المعلم عبد العال. سرحت بعض الوقت فى عرض شريط سينمائى يمر بمخيلتها بطيئاً يعيد لها الصور والأحداث مركزة على حب المعلم عبد العال لولده حمادة. لقد غير قدوم حمادة الكثير من المعلم عبد العال وكان سبباً فى صلاحه وإصلاحه، أصبح دائم الشكر والحمد عرفاناً لله سبحانه وتعالى الذى وهبه ماكان يتمناه.لا... لا...لن تبوح بالسر لبناتها ولاحتى لإحداهن.

اشتد الألم، يضغط على أعصابها بشدة يشدها إلى أرض الواقع بعيداً عن الخيال والتصورات. تذكرت أن عملية استئصال الثدى يجب أن تتم بسرعة، تعرف أنها قد تنجو وربما لا.

استقر بها المطاف الفكرى والعقلى على الكتمان. عزمت أمرها على ذلك قانعة تاركة ماهو آت إلى مستقبل لا يعرفه إلا الله وحده. جلست مع بناتها تبلغهن حقيقة مرضها اللعين، وكيف أنها عانت كثيراً فى كتمان ذلك عنهن حتى لاينزعجن. كان وقع الخبر عليهن كلطمة على خدودهن أو كخنجر فى صدورهن، رحن فى نواح وعويل، تحاول جاهدة أن تتماسك أمامهن، استجمعت قوى صوتها وصدر منها صياح عال تزجرهن بأن ذلك قضاء الله سبحانه وتعالى، لا مفر من قضائه. وأن عذاب الدنيا أهون بكثير

www.alkottob.com

من عذاب الآخرة. وما حدث هو تكفير للذنوب.

يدقق النظر إلى وجهها وقد راح عنه صفاره واحمراره. التففن حولها ينهنهن فى صمت، يقبلنها من رأسها، ويديها، وقدميها، تربت عليهن واحدة تلو الأخرى تدعو داخلها أن تحل السكينة فى قلوبهن الواجفة.

طرقات متفرقة على الباب رغم وجود جرس موسيقى. الطارق فتحية جاءت منذ الصباح الباكر، عيناها متورمتان تفصحان عن سهاد وقلق، شرد النوم عنها وخاصم جفنيها، تحب شقيقتها الوحيدة. ظلتا روحاً واحدة فى جسدين حتى افترقتا بالزواج. حاولت يسرية أن تدارى إرهاق وجهها وعينيها بمساحيق ثقيلة. لكن ماذا تفعل المساحيق فى نفس كسيرة وجسد عليل ؟

رأت فتحية المعلم عبد العال وقد ارتدى ملابسه وأمامه الحقيبة التى تحوى حاجات زوجته، وبيده مصحف يقرأ بصوت خفيض. حاولت البنت الكبرى أن تذهب معهم، لكن أباها أقنعها بالمكوث بالمنزل لأى ظرف طارئ ومن أجل حمادة الصغير.

الطريق طويل رغم قصره، الهواجس والإرهاصات تتصارع فى صدر كل منهم. العجيب أن يسرية تبدو أكثرهم اطمئناناً، بل كانت تسمعهم كلمات تريحهم وأنها لاتخشى الموت، قطع حديثهم رنين المحمول.. المتحدث رومى من أمريكا يبلغ المعلم عبد العال باسم المحامى وموعد قدومه إليه.

أحس رومى من إجابات عبد العال المقتضبة وصوته الكسير أن فى الأمر شيئاً، سأله عن سبب ذلك أنكر ماهو فيه. ولما ألح عليه حكى له حقيقة مرض زوجته وهو فى طريقه الآن لإجراء العملية. أثناء المحادثة سألت يسرية عن المتحدث، قال لها ومازال التليفون على أذنه:

- ده رومى يا يسرية.

- رومى مين؟

- اللى اشترينا منه شقة الزمالك جوز ماتيلدا اللى بنتهم جاكى... يا ترى فاكراها؟ قال ذلك دون أن ينظر إليها، يتكلم وعيناه على الطريق.

التقط الحديث رومى يسأل عبد العال، هى المدام معاك؟ فلما عرف أنها بجانبه طلب مكالمتها. يسرية تلملم مشاعرها المهترئة، أصابها نوع من الذهول ما الذى يحدث الآن وهى فى طريقها للعملية؟ ربما تعيش أو تموت.. هل يواسيها؟.. هل يخفف عنها؟.. هل يزيدها لوعة؟ أسئلة تلح عليها تزيد من دقات قلبها الذى كاد يتوقف حينما أعطاها زوجها التليفون لتكلم رومى.

الشفاه يابسة، الحلقوم جاف، الأيدى مرتعشة، وبعد برهة من التردد نطقت :

- أنا يسرية ياباشمهندس.. إزايك وازى المدام وبنتك الجميلة جاكى " قالتها وقلبها يعتصر ألما "

- كلهم كويسين وهما جنبى. ماتيلدا زوجتى عايزه تسلم عليكى ألف لا بأس عليكى...إن شاء الله تكون حاجة بسيطة. خدى ماتيلدا معاكى.

تسألها بشوق وكأنهما صديقتان من زمن عن صحتها وأحوالها، يسرية تردد : الحمد لله.. الحمد لله. سمعت يسرية صوت صغيرة بجانبها، سألتها عنها فقالت : إنها جاكى.طلبت منها على استحياء أن تكلمها، صدرها يعلو وينخفض :

- ألو... مين ؟

- أنا ماما يسرية.

- ماما يسرية مين ؟

- أم حماده اللى كان بيلعب معاكى فى شقة الزمالك... يا ترى فاكراه؟

- مش فاكراه خالص ياطنط.

www.alkottob.com

- انت مبسوطه يا جاكى فى أمريكا.
- قوى يـ ماما يسرية.

أحست بكلمة ماما وكأن سهماً أصاب قلبها. وقع التليفون من يدها، التقطته فتحية وهى تنظر إلى شقيقتها، خشيت أن يكون أصابتها إغماءة. تتمتم بكلمات غير مسموعة : الحمد لله أن سمعت صوتها قبل... لم تكمل يسرية جملتها، انخرطت فى بكاء صامت، دموعها تسح على خديها وقد انطبعت صورة جاكى فى آخر مرة رأتها بمقلتيها. الوحيدة التى تكتوى بنارها وعذابها، حركت الأمومة داخلها حينما أتاها صوتها الطفولى عبر الأثير من أمريكا البعيدة. لم تفلح الأميال الطويلة فى قطع الحبال ولا فى قتل المشاعر الفياضة رغم أن النفس مهترئة والوجدان ممزق.

تمنت أن يسمع صوتها عبد العال، الأب الحقيقى،فلربما يحس بالبنوة فى صوتها. هى على اقتناع أن هناك رابطاً خفياً لابد أن يظهر يوماً ما، سوف يحسه، فالبنت من صلبه. ليس هذا مستحيلاً، الأيام كفيلة بذلك. تشك أن حياتها قصيرة بعد أن عرفت حقيقة مرضها. تدعو وهى فى محنتها أن يلم الشمل وتعرف الحقيقة فى حياتها أو مماتها، ستكون مستريحة قريرة العين والفؤاد.

لقدكان الله كريماً معها بأن سمعت صوتها وهى فى حالة خطرة غير مأمونة العواقب. لم تطمع فى أكثر من ذلك... حاولت كثيراً وباءت محاولاتها بالفشل.

تذكرت الدكتور سامى بديع وإصراره المستميت ليكشف عن هوية حمادة. نعم ليس من ظهر عبد العال، يعيش خدعة كبيرة، تمنت أن تكون الأيام رحيمة به، لم يرتكب خطأ، لا ذنب له، فرحة الولد أصمت أذنيه، لم يسمع سوى نداء عاطفته ورغبته الجامحة فى إنجاب الولد. ليتها ماقابلت العرافة، تلك الشيطانة التى أوقعتها فى الجريمة... تندم وماذا يفيد الندم الآن ؟

الفرائص ترتعد من الخوف. قبل إجراء العملية لاتعرف إن

كانت ستعيش أو ستموت.حتى لو عاشت، تعلم توابع هذا المرض اللعين. لن يبرأ منه أحد تماماً. متأكدة من ذلك. أفاقت على صوت وقوف السيارة أمام باب المستشفى الفاخر. الإجراءات تتم بسرعة ويسر. بدلت ملابسها وسلمت جسدها المريض ولسانها بذكر الله. رأت كل شيء من حولها أبيض، حتى الوجوه السمراء، صوت المقصات وهمهمات الممرضات كأنها ترانيم تأتيها من السماء، ثم غابت عن الوعى بعد أن طلب منها طبيب التخدير أن تعد من واحد إلى عشرين.

الجراح خرج باش الوجه، الممرضات حمدن الله، هرع إليهن زوجها وشقيقتها. سمعا ما يطمئنهما وأن كل شيء على مايرام. لم تحتج سوى لتر واحد فقط من الدم، هكذا قال الطبيب وهو سعيد بنجاح العملية فقد كان التوفيق حليفه، استأصل كل الخلايا السرطانية، راح يدلى بنصائحه: الحالة النفسية فى مثل هذا النوع من العمليات تلعب دوراً كبيراً فى التئام الجروح وانحسار المرض، يجب على كل من يحبونها أو تحبهم أن يراعوا مشاعرها، وألا تحس بأنها فقدت جزءاً من جسدها.

الأيام التى تلي العملية مباشرة فى غاية الأهمية، يجب تسليتها والتسرية عنها حتى لا تُترك للهواجس المفترسة.

أفاقت من المخدر ارخت عينيها. أول نظرة لها صوبتها إلى صدرها. أحست بالفارق بين الجانبين. هبط أحدهما عن الآخر. تحسست بيدها الجانب المعطوب، أحست بكميات الشاش والقطن، استسلمت لأمرها، طلبت أن ترى بناتها وحمادة. انصرف عبد العال ليحضر أولاده تحقيقاً لرغبتها، وترك معها شقيقتها تحادثها :

- حمد الله على سلامتك يا يسرية.
- الله يسلمك يا فتحية.
- الدكتور بيقول انك حقيقى كويسة.. بس شدى حيلك.
- الحمد لله... انا مكنتش مصدقه ان ح أشوفكم تانى.

www.alkottob.com

تأتى الممرضات يباشرن عملهن كل فيما تخصها.

مرت الأسابيع وعادت يسرية إلى بيتها والكل فرح بعودتها، كانت تسأل أحياناً عن المهندس أرمانيوس. وزوجها يخبرها بكل التطورات والمستجدات بشأن الشراكة بينهما، وكيف أن البداية مبشرة بالخير.

العلاج الكيماوى منتظم وتوابعه تأتى، إنها غير قادرة على تلبية متطلبات زوجها. حالتها النفسية لاتسمح بذلك، تحس بأن الرغبة ضاعت لديها، والزوج لم يحاول إحراجها، لكنه لم يغادر سريرها، تتوقع أنه لن يصبر على ذلك طويلاً، سوف يعلن تبرمه يوماً ما. كثيراً ما تتابع نظرات عينيه، تتشكك دائماً فى أنه سيتزوج من أخرى. لن تحزن، بل هى التى عرضت عليه الزواج أكثر من مرة بعد أن داهمها المرض وفى كل مرة يأبى. وأحيانا ينهرها إذا ما استمرت على إلحاحها. يقول لها دائماً إنه راض بقضاء الله. كثيراً ما تجده يصلى ويدعو لها. تذكرت مواقفه الرجولية وشهامته. دار بمخيلتها لحظات القلق التى انتابته عندما علم بحقيقة مرضها. لم يبخل بشيء كان على استعداد أن ينفق مال الدنيا وتشفى، لم يستطع أن يخبرها بنفسه من فرط حبه لها. بحث عن شقيقتها لتخبرها، تمنت يسرية أن تموت لتريح وتستريح، إنها تحبه أيضاً وتعرف أنها الآن مصدر للتعاسة والشجن. لو ماتت لن يدوم الحزن. خلق الله نعمة النسيان حتى تسير الأمور. تدعو له قبل أن تدعو لبناتها. فمعدنه طيب، ترى فيه كل ماهو جميل.

الفصل الثامن

السنوات تمر ويكبر حمادة وتكبر جاكى وتذبل يسرية ويسقط شعر رأسها رويداً رويداً بفعل المرض والزمن. توسع المعلم عبد العال فى تجارته وصار أكبر معلمى الوكالة والناس من حوله منهم من يحسدونه ومنهم من يغبطونه على ثرائه ومشاركته لرومى الذى حصل على الجنسية الأمريكية هو وزوجته وابنته الشابة رائعة الجمال جاكى ـ آلو.. أيوه ياروميو.

ـ آلو يا معلم.

ـ إنت مش حاسس بعد السنين دى كلتها إن نفسك تشوف مصر؟

ـ حاسس والله يا عُبدو.. بس مشاغلى كتير هنا.. طيب وانت نفسك ماتشوفش أمريكا.. علشان تشوف الدنيا ـ لا يا عم دى مصر أم الدنيا.

ـ أنا معاك مصر أم الدنيا بس لازم تيجى تزورنى إنت والعيلة وتشوف دنيا تانية.

ـ العيلة كبيرة قوى ياروميو... دا أنا والحرمة واربع بنات وظابط ـ ولا يهمك حتى لو ميت واحد... أمريكا حلوة قوى يا

www.alkottob.com

معلم.

- أوعدك انى ح أفكر بس الحرمة دبلانة قوى يارومى= سلامتها ألف سلامة. اصطبغت المكالمات بينهما بالفكاهة والمرح، كلاهما يتمنى أن يرى الآخر. لقد اشتاق رومى وماتيلدا كثيراً إلى زيارة مصر. وفى كل مرة تثنيهما جاكى عن رغبتهما.

جاكى كادت تنسى اللغة العربية لولا أن أبويها يحاولان التحدث بها أمامها، فقد تعلقت تعلقاً شديداً بالمجتمع الأمريكى، وارتبطت بصداقات قويه تجعلها فى كل مرة ترفض السفر إلى مصر.

رومى قلق ويزداد قلقه كلما رأى جاكى، تكبر، وتظهر عليها علامات الأنوثة. قوام رشيق فتان، نهدان صغيران، عينان خضراوان. عاداته وتقاليده الشرقية، نشأته الملتزمة التى ارتوت بمبادئ الكنيسة، عبق شبرا الذى مازال يملأ صدره ويتنفس به.كل ذلك يركز الصورة على عذرية جاكى التى احتلت جزءاً كبيراًمن عقله وفكره، صار مهموماً يتوجس خيفة وسط هذا المجتمع الأمريكى الذى لايهتم بالعذرية الطاهرة.

لاحظت ماتيلدا مايفكر فيه زوجها على ملامح وجهه، لقد فهمت مايدور بخلده دون أن يبوح لها بذلك. سألها ذات مرة هل حاضت جاكى ؟ ولما سمع الإجابة تجهم وجهه واكتسى بعلامات الهم، يخاف عليها، يود أن يراها كأمه وأخته وزوجته. يرفض من داخله تلك السلوكيات التى تتنافى مع أخلاقه وقيمه. عرض على زوجته العودة إلى موطنه فقد جمع من المال مايضمن لهم رغد العيش، لكنه يعرف مدى تعلق جاكى ببلد المهجر.

ماتيلدا أكثر اطمئناناً منه، فهى تعرف ابنتها حق المعرفة، وهى على يقين أن جاكى ستكون شرقية فى بلد غربى، لأنها لم تبخل عليها بالنصائح والإرشادات، وزرعت فيها التمسك بتعاليم دينها

المسيحى التى لاتسمح بانحراف البنت، تذكرها دائماً بأن بكارة البنت شرف لها، وأنها شيء عظيم ومهم فى حياة الشرقيين، يجب الحفاظ عليه وصونه. جاكى تسمع وتطيع، ذكية متفتحة الذهن، دائما تتباهى بجذورها الشرقية، تتكلم عنها بشموخ وأنفة. ماتيلدا وجاكى صديقتان لاتخفى الصغيرة شيئاً، تحكى لأمها كل مايحدث لها، تستفسر إذا غمض عليها سؤال، صارت ترى وتسمع عن أشياء تعدها غريبة، زميلة لها حامل، أخرى تعيرها بأنها مازالت عذراء، زميل يطلب أن يلثم شفتها رغبة وشهوة، آخر يطلب مضاجعتها دون خجل.. الأم سعيدة بمصارحة ابنتها وتنصحها بما يجب أن تفعل، نقلت كل هذه الصور إلى رومى الذى أخذ يرقب ابنته دون أن تشعر فاطمأن قلبه، وشكر الرب أنها على هذه الأخلاق الكريمة.

بعد اتمامها للمرحلة ماقبل الجامعة. اختارت جاكى الالتحاق بكلية الطب، لم يكن ذلك مستغرباً على أبويها ومن حولها، فقد لاحظوا فيها منذ صغرها ميلها الشديد للحب والعطف والعطاء. نعم هذا هو المجال الذى يشبع رغباتها ويحقق طموحاتها... طبيبة، مهنة تمنتها وتعتز بها تتفق مع مشاعرها الرقيقة وروحها الحميمة التى تتعلق بالآخرين. الجانب الإنسانى يطغى عليها، تعرف أن الأطباء فى الأرض هم ملائكة الرحمة. سعيدة حينما يرفع الألم عن بنى البشر، سمحة إذا عملت ولم تأخذ مقابلاً، سوف تهب نفسها لعلاج المرضى.

رومى وماتيلدا وسلفانا وإدوارد شجعوها على ذلك، ونموا فيها هذا الشعور، فليس فى هذه الدنيا أغلى من صحة الإنسان، باركوا ذلك وبدأت الدراسة فى كلية الطب.

حمادة شاب وسيم، رقيق المشاعر، تدلل كثيراً فى صغره، لم يؤثر ذلك على تفوقه الدراسى، يلاقى تشجيعاً شديداً من أخواته

www.alkottob.com

البنات. تعلقن به وصار حمادة فاكهة البيت ومصدر سعادته وسروره. حصل على الثانوية العامة بمجموع كبير يؤهله للالتحاق بأي كلية يريدها...اختار كلية الإعلام. المرحلة الجامعية ذات طابع خاص ومذاق يستعذبه كل شاب وشابة. الكل تحدد مصيره وعرف نوع دراسته. ومنها تبدأ الأحلام الوردية بعد أن أفاقوا من كابوس الثانوية العامة " البعبع ".

وقف حمادة أمام باب الكلية، تسمر أمام لافتة " كلية الإعلام " مبهوراً بهذا الاسم الذى سيجعل منه صحفياً نابغاً أو مذيعاً لامعاً. أمنية حياته وإحدى هواياته التى مارسها فى مدرسته الثانوية. عادت به ذاكرته عندما كلفه مدرس التاريخ بإعداد مجلة الحائط، تركه يختار مواضيعها ورسوماتها. ظهرت براعته ونبوغه، كلفته إدارة المدرسة بأن يرأس تحرير مجلة المدرسة الشهرية.

لم ينس أول حديث صحفى له، كان مع بواب المدرسة " عم فاضل "، اعتقدوا أنه سيبدأ بالخواجة مدير المدرسة. لكنه رأى فى عم فاضل النموذج الأول الذى يود أن يحاوره ويكتب عنه، وكانت أول " خبطة " صحفية لما أثبت أن البواب أهم شخصية فى المدرسة.

مولع بكل ما يتعلق بالإعلام، مثقف مطلع رغم صغر سنه، أفاق على صوت حورية زميلته فى المدرسة ونائب تحرير المجلة، تسأله:

- انت واقف مبلم ليه قدام اليافطة ؟

- كلية الإعلام ياحورية أملى... حياتى.

- انت ح تسرح من أول يوم... يلاّ بينا نروح نشوف جدول المحاضرات.

جذبته من يده، سارا بالممشى والطلاب كثيرون من حولهما.

الجميع يهنىء بعضهم بعضاً على بداية العام الدراسى الجديد، يسير مذهولاً منساقاً لزميلته التى كانت أكثر منه جرأة ومرحاً. تسلم على هذا.. لقد قابلته فى مكتب التنسيق.. وتسلم على هذه لقد قابلتها حين الكشف الطبى.تكثر من الابتسامات والتسليمات وكأنها تعرف دهاليز الكلية ومن فيها.

اطلعا على الجدول وراح كل منهما يدونه فى مفكرته. تتكلم حورية وهى منهمكة فى الكتابة :

- تعرف ياحمادة إن الجدول ده تقيل قوى.. ح نقعد وقت طويل فى الكلية.

- وماله ياحورية.. ياريت ننام فيها كمان.

- أنا عارفاك ياعم أنت ناوى على امتياز من أول سنة.

- وأنت كمان ؟

- " أنا مش بصه لتقدير.. كله كويس حتى لو مقبول.. " (قالتها بحسرة).. وقد تغيرت تقاسيم وجهها، وتغيرت نبرات صوتها أيضاً.

- طول عمرك حتى وأنت فى الثانوى اللى يشوفك يقول عليكى لعبية ومش ح تنجحى ونبص نلاقيكى ضربتى فى العالى.

- صدقنى ياحمادة أنا نفسى أخلص كليتى بأى طريقة.

قالت ذلك وقد اكتسى وجهها بالحزن وتغيرت ملامح وجهها وبهتت الابتسامة على شفتيها، واغرورقت عيناها بالدموع. ارتبك حمادة ونظر إليها باهتمام يستفسر منها ويستحلفها أن يعرف السبب فلربما يكون فى إمكانه مساعدتها، لقد كانت قريبة منه خلال المرحلة الثانوية بينهما صداقة بريئة. نظر فى ساعته وقال لها : باقى على موعد المحاضرة أكثر من نصف ساعة، رجاها أن يجلسا فى مكان هادئ لتحكى له. حورية فتاة خمرية اللون، تحتار فى جمالها، تصنفها جميلة إذا تعاملت معها ولمست خفة

www.alkottob.com

روحها، وتصنفها متوسطة الجمال إذا نظرت إليها نظرة سطحية. لديها مكامن للجمال كأى أنثى لاتكتشف إلا بالغور داخلها والتنقيب فى ذاتها، تمتد أصولها إلى صعيد مصر الذى يتصف دائماً بالدماغ الحجرى، لايتراجع إذا أصر على شيء ما. ورغم ذلك فهم أناس طيبون يتحلون بالصبر والشهامة وخفة الظل.لذا ترى حورية والابتسامة لاتفارق شفتيها إلا ماندر. كانت مسئولة الإذاعة بالمدرسة ينادونها أحياناً بـ"صفية المهندس" لدفء صوتها ورقته، حمادة طالما داعبها بقوله إنه لايفهم منها شيئاً حينما تمسك بالميكرفون لأنه يتوه ويسرح فى جمال صوتها.. ياإلهى الآن ينحبس هذا الصوت ويأبى الخروج بعد أن دمعت عيناها. تحب أباها حب الجنون فهى صغرى بناته وفأله الحسن، لم يرد لها طلباً مادام فى إمكانياته، يحس دائماً أن سعادته فى إرضائها، لم تطلب منه شيئاً غير عادى، عاقلة رزينة رغم صغر سنها يقولون عنها دائماً : " البنت دى أكبر من سنها ". لكنه هذه المرة ضرب برغبتها عرض الحائط، لم يقبل منها نقاشاً فالعريس المتقدم لها ابن صديقه ورفيقه فى الزنزانة خلال فترة سجنه حينما تم القبض عليهما بتهمة انتمائهما لجماعة الإخوان المسلمين.كان ذلك فى أواخر الخمسينيات حينما عثر فى بيت كل منهما على إيصال بمبلغ عشرة قروش ممهور بخاتم جماعة الإخوان المسلمين قيمة الاشتراك بهذه الجماعة. كان ذلك شرطاً أساسياً ليسكنا فى مساكنهم التى كانوا يعدونها لطلبة الجامعة المغتربين، كان ذلك احد نشاطات الجماعة فى ذاك الوقت.

حورية لاترفض الزواج على إطلاقه بل ترفض أن يكون في هذا التوقيت. إنها ترغب بشدة في إكمال تعليمها الجامعى، لأنها على يقين لو أنها تزوجت صعب عليها تحقيق ذلك. بكت أمامه كى يلين أو يتراجع أو يعاود التفكير. ازداد عناداً وإصراراً، بل

طلب الإسراع فى عقد القران. أحس حمادة بضخامة المشكلة التى تعانيها حورية سألها :

- وماذا عن رأى والدتك؟

- لاتستطيع المواجهة...بمعنى أصح ليس لها رأى... تخشى بطش أبى - وماذا عن رأى عمك الكبير ؟

- هو الوحيد الذى لم أطرق بابه..أخشى أن تتعقد الأمور معه أكثر من ذلك.. لابد من المحاولة ياحورية.

أومأت برأسها ومصمصت شفتيها بيأس، ثم نظرت إلى ساعتها فقد حان وقت المحاضرة الأولى. طلب منها حمادة أن تنسى مشكلتها مؤقتاً وتبتسم ابتسامتها الحلوة حتى تكون بداية سنة سعيدة... نظرت إليه متهكمة على حالها، ولم تقتنع.

الفصل الدراسى الأول يوشك على الانتهاء، حورية غير منتظمة فى الحضور بسبب مشاكلها العائلية وتشبث والدها بزواجها من ابن صديقه، حمادة أدرك معاناتها، لخص لها المحاضرات الفائتة منها. احتار كثيراً فى شعوره نحوها، لكنها اقرب صديقة إليه. حاولت كثيراً أن تؤجل الزواج بحجة أنها لم تدرس خطيبها أو تعرفه حق المعرفة، وخاصة أن الوهلة الأولى غير مريحة. صدّها أبوها حينما قال لها : يكفى أنه ابن صديقى، تحدد موعد الزفاف، المكسب الوحيد التى حصلت عليه بعد مفاوضات مستميتة هو الموافقة على إكمال دراستها وهى فى بيت الزوجية.

العروس لم تتجاوز السبعة عشر ربيعاً، قليلة الخبرة وان كانت تبدو غير ذلك. كانت البداية ساخنة ساحقة. الزوج لم يختبر، رجل شرس، فظ القلب، سليط اللسان، جردها عنوة من كل ملابسها فى اللحظات الأولى من الخلوة بعد انتهاء مراسم الزفاف.وبعد أن انفض الأهل والأحباب والأصحاب.لم يتصور

www.alkottob.com

أنه عقد زواج بل عقد بيع وشراء، اشترى امرأة ليرتوي من جسدها، وهو قوى البنيان، شديد الفحولة، ارتمى عليها كالبهيمة لم يعرف الملاطفة كاد يكتم أنفاسها، لم يبال باستغاثتها وضعف قوتها. جاءها نزيف حاد ذهبت على إثره إلى المستشفى فى نفس الليلة. انتحى به الطبيب جانباً يلومه على عنفه، خاصة بعد أن وجد خطوطاً حمراء فى معظم جسدها كادت تتفصد دماً من مقاومتها له.

البداية أليمة على النفس والجسد. لكن ماذا تفعل حورية وهى البنت الشابة رقيقة المشاعر والأنوثة، جاهلة بالمسائل الزوجية وأخصها المعاشرة الجسدية التى كرهتها منذ الوهلة الأولى ؟ ليتها ماتت قبل أن يحدث لها ذلك، هكذا تمنت. لو عرف أبوها حقيقة زوجها لندم أشد الندم وعض على نواجذه لما ارتكبه فى حق ابنته التى يحبها.

لم تسمع إلا القليل عن الجنس ربما قرأت عنه خلسة فى كتاب أو مقال أو لقطة من فيلم أو حكاية سمعتها من صديقة. لم تتصور أن يكون الزواج بشعاً إلى هذه الدرجة. كيف تستقيم لها الحياة مع هذا الجلف ؟ لقد رأته فى هذه الليلة وحشاً لايعد من أصناف الرجال بل يعد من الكواسر. هل ذنبها فى الحياة أنها خلقت أنثى ؟ هل كل الرجال مثل هذا الزوج ؟ هل تصارح أباها بعدم رغبتها فى الاستمرار معه ؟ ألم يكن أبوها يعرف أنها مازالت صغيرة ؟ لكنه تزوج أمها فى مثل سنها، وها هو رب أسرة سوية. بالقطع إن أباها يختلف عن زوجها. هل عانت أمها يوم زفافها ما عانته هى ؟ أين اللذة الجنسية التى يقولون عنها إنها معقل الخطيئة.. لا.. لا لقد رأت شيئاً آخر. خرجت من بين يديه مذبوحة كعصفورة ترقص من الألم.

علمت أسرتها بما جرى لها. جرت الأم إلى المستشفى، جلست

معها، فهمت السبب تكتمه خجلاً. الأب ربما فهم وربما لا. أما الزوج البهيمى فقد وقف بجوار سريرها معتقداً أن ماحدث وسام على صدره، تلمع عيونه غروراً وكأنه قد فتح " عكا ". بالخسارة العلم والمؤهل الذى يحمله ! لم يتثقف جنسياً. تذكر وهو فى الجامعة يوم أن أغوته الخادمة اللعوب، فى ليلة لم يكن أحد بالبيت. خلعت عن نفسها نصف ملابسها وأصبحت شبه عارية. جذبته نحوها يلامس جسدها الفائر وتمسك بيديه لتضعها فى صدرها المكتنز ، وهو يتصبب عرقاً. ساعدته فى خلع ملابسه حتى سرواله. ولما رقدت يضاجعها ضاعت منه رجولته وقام يرتدى ملابسه مطأطئ الرأس، سمع منها ضحكة طويلة تنم عن استهزاء وسخرية، أصمت أذنيه، وطبعت فى ذاكرته. جلس سنوات يسمعها دون إرادة منه. أمسكت بيد الطبيب تتوسل إليه ألا يصرح لها بالخروج، فهى محتاجة إلى استجمام على الأقل يومين أو ثلاثة. وافق على طلبها بعد أن قرأ ما فى عينيها، لكن الزوج لم يرض بذلك وأخذ يحاور الطبيب ويجادله. والطبيب يصر على موقفه ويؤكد أنها مازالت مريضة وتحتاج إلى رعاية المستشفى وخروجها خطر على حياتها.

حان وقت الخروج، حورية تصر على الذهاب إلى بيت أبيها. والزوج وأبوه يصران على ذهابها إلى بيتها. وإزاء إلحاح حورية وافق الأب على أن تأتى معه ولم يستجب لمطالب الزوج وتهديده بالويل والثبور بعد أن رأى حالة ابنته وسمع من الطبيب أنها لو لم تسعف فى الوقت المناسب لنزفت كثيراً وتعرضت للموت.

تعددت اللقاءات والاجتماعات بين قطبى العائلتين. حورية تصر على عدم الذهاب إلى بيت زوجها، لم تفلح المساعى لإعادتها، اشرأبت الأعناق، وتصارعت الكرامات فتم الطلاق. لم يتبق على امتحان الفصل الدراسى الثانى إلا شهر وبضعة أيام. كانت تقابل حمادة كل يوم، يبذل معها جهداً خرافياً فى

www.alkottob.com

الاستذكار معها ولها. وهى جادة سعيدة بعودة حريتها رغم مرارة تجربتها. لم تضيع وقتاً حتى تعوض مافاتها.

العلاقة بينها وبين حمادة تزدادترابطاً ومحبة حتى لاكتهما الألسنة بأن علاقة ما تربطهما. حرف الحاء كان مساعداً حيث تزاملا فى " السكشن " وفى لجنة الامتحان. وانتهت السنة الأولى بنجاح حمادة بامتياز وحصوله على الترتيب الأول، ونجحت حورية بتقدير جيد لكنه بطعم الامتياز. العام الدراسى الثاني... حمادة أشهر طالب فى دفعته، ينادونه بألفة الدفعة، ويشار إليه بالبنان. بعض التجمعات الطلابية تهمس حينما يمر أمامهم " الواد الصميم آهو "، يبتسم حينما يسمع ذلك ويردد "ماشاء الله لاقوة الا بالله " درءاً للحسد. لم تكن التجمعات الطلابية بالكلية أو مايسمونها " الشلل " كلها من الأسوياء. الجامعة كأى مجتمع به الجيد والردئ، رغم أنها فى استقبالها لأبنائها الوافدين من الثانوية العامة وخصوصاً كليات القمة، لا تفرق وتفتح ذراعيها بالحب والعلم لكل من التحق بها، لكن بعض النفوس تنحرف فى تيارات لايحمد عقباها. وبعضها تفشل لأسباب معينة فتطرد من الجامعة غير نادمة أو آسفة عليها. الحياة الجامعية تختلف كثيراً، هذا العمر من أخطر المراحل السنية، خصوصاً المغتربين الذين يفقدون رقابة أولياء أمورهم فرحين بالتحرر، ينحرفون وراء تيار الهوس، والهوس فى الجامعة له أكثر من شكل، أشهره حديثاً هو الهوس الدينى، أو ما يسمى بالتطرف، وهذا له أناس متخصصون يبدأون بإعفاء اللحى وتقصير " البنطلون " ثم ينتهون إلى السجون وراء القضبان.وهناك الهوس الآخر والأخطر وهو الهلوسة.. يعنى المخدرات. وهذا له مجرمون متخصصون يبدأ الطالب بنفس من سيجارة أو بشمة، وينتهى حاله إلى الإدمان، ومن ثم إلى المستشفى أو السجون. وهناك هوس أقل خطراً وهو الهوس

العاطفى، أى الحب، والعلاقات الثنائية فى الجامعة كثيرة، ومن هذه العلاقات ماينتهى نهاية سعيدة ومنها ماينتهى نهاية تعيسة.

حمادة وحورية بعيدان عن كل أنواع الهوس، حتى الحب لم تتحدد هويته بينهما ولم يبح أحد به للآخر. لكن حورية لديها فضول لمعرفة سلوكيات الطلبة والطالبات الذين تشك فى انحرافهم لتبتعد عنهم وتبعد حمادة أيضاً عن طريقهم. لم تنس ما صنعه من أجلها لتنجح فى السنة الأولى.لذا فهى تقضى وقتاً طويلاً بالكلية بين قاعات المحاضرات والمكتبة والكافتيريات متشعبة الصداقات، معروفة لمعظم طلبة الدفعة، تحاول أن تنسى تجربتها الشخصية، تحمد الله كثيراً أنها لم تترك عقدة نفسية لديها. ساعدها على ذلك طبيعتها المرحة، تمارس حياتها وكأنها عذراء.

لاحظت أن حسن الطالب الهادئ ذا اللحية الخفيفة يتقرب إلى حمادة بشكل لافت للأنظار، يلاحقه فى كل أوقات فراغه، يجلس بجانبه فى المحاضرات أو فى " السكشن "، يطلب منه أن يتقابلا خارج الكلية، وحمادة يرفض فى كل مرة مبدياً حجة ما. ارتابت حورية فى أمر حسن خاصة أنها لا ترتاح إليه رغم هدوئه المريب، تعتقد أن وراءه سراً دفيناً ترجح أنه شر وليس خيراً. صممت أن تراقبه حتى تعرف ما وراءه فلربما يكون هناك ضرر يلحق بحمادة الذى لايملك وقتاً للهو فقد أخذ على عاتقه أن يعطى الكتاب حقه حتى يحافظ على تفوقه.

اندست وسط جماعة حسن، وعرفت أنهم ينتمون إلى جماعة متطرفة، وأنهم يحاولون ضم حمادة إليهم فهم محتاجون إلى سيارته ونقوده. ذهبت إليه وحذرته من حسن وجماعته، وحكت له مايدور بخلدها، ترجوه ألا يندمج معهم أو يقابلهم بالخارج. أخبرها بأنه اليوم على موعد مع حسن لمقابلة أصدقاء فى الله،

www.alkottob.com

هكذا يقول. أثنته عن رغبته وظلت تلازمه طوال اليوم تذاكر معه حتى تطمئن إلى عدم ذهابه فى الموعد المحدد له. فى اليوم التالى قرأ بالجريدة القبض على جماعة متطرفة يتزعمها طالب بالجامعة. حمد الله أنه لم يكن معهم.ازداد تقديره لحورية. حافظ حمادة على امتيازه وتفوقه فى هذا العام. وكذلك الأعوام التالية التى تمت على الوتيرة نفسها، حتى أتم حياته الجامعية، وكان الأول على دفعته فى البكالوريوس.

• • •

الفصل التاسع

المعلم

عبد العال كاد يضئ الوكالة كلها بلمبات الزينة فرحاً بتخرج ابنه وتفوقه. الشربات والحلويات والمأكولات من كل الأنواع توزع على فقراء وأغنياء الوكالة. الكل يعرف عبد العال بعد أن صار أكبر معلم بالوكالة منذ أن شارك رومى فى استيراد الخردة من أمريكا وبيعها عن طريقه فى مصر.

المكاسب هائلة والأموال طائلة، وليس بمستغرب أن يقيم المعلم عبد العال هذا الاحتفال ويغدق عليه من ماله الوفير فهو فى الأصل رجل كريم.

انعقد مجلس العائلة برياسة المعلم عبد العال وزوجته الحاجة يسرية التى اكتسبت هذا اللقب من حجها لبيت الله الحرام كل عام بعد أن استأصلت أحد ثدييهانتيجة إصابتها بمرض السرطان اللعين. والآن وقد أنهكها المرض وذبلت فهى أميل للصمت، الأخوات البنات كلهن موجودات. ماهو الاختيار الأفضل لمستقبل حمادة ؟ لقد حصل على الترتيب الأول وأصبح تعيينه بالجامعة كمعيد شيئاً مفروغاً منه، لكن هل يتفق ذلك مع ميوله ورغبته. النقاش يدور والأب مزهو بابنه وبتفوقه غير العادى. لقد قرأوا فى الجرائد إعلانات عن طلب مذيعين ومذيعات ومقدمى برامج بالتليفزيون. هل يتقدم لهذا الإعلان أم يطرق أبواب الصحافة

www.alkottob.com

ويبدأ السلم من أوله صحفياً تحت التمرين. ما الذى يناسب هواياته وشخصيته ؟ ربما يمنحه تفوقه العلمى فرصة الاختيار بين أكثر من وظيفة.

استقر الرأى على أن يتسلم عمله بالجامعة فهى العصفورة التى فى اليد وإذا مارغب فى تغيير مسار حياته فالفرصة سانحة أمامه. وبعد المداولات والمشاورات ومحاصرته بالأسئلة أبدى رغبته فى أن يلتحق بالتليفزيون مذيعاً. لذا قرر أن يتقدم لهذه الوظيفة.

المحمول يعلن عن استقبال مكالمة هاتفية من أمريكا. المتحدث رومى والمستقبل المعلم عبد العال. يسأل كل منهما عن أحوال الآخر. أشارت يسرية إلى زوجها أن يسأله عن جاكى، استجاب، أخبره رومى أنه بقي لها " كورس"واحد فقط حتى تصبح طبيبة. انخلع قلب يسرية لهذا الخبر وإستغرقت فى صمت رهيب.

ولما سأله رومى عن حال زوجته أخبره أنها فى تدهور. عرض عليه رومى أن يأتى بها إلى أمريكا حيث التقدم والتطور فى الطب، وسوف ترعاها جاكى خلال فترة وجودها.

الحياة فى أمريكا استهوت قلوب عائلة رومى حتى أصبحوا لايفكرون فى مصر. الأموال التى يكسبها رومى من خلال شراكته بالمعلم عبدالعال تحول له أولاً بأول. حصلت كل العائلة على الجنسية الأمريكية بعد مرور السنوات القانونية بالإضافة إلى السمعة الطيبة والصفات الحميدة التى يتحلون بها حتى صاروا مضرب الأمثال لكل مصرى مهاجر. أما جاكى فقد أنهت دراستها فى كلية الطب وعملت بأحد المستشفيات الشهيرة بالولاية، مازال قلبها أخضر وعذريتها لم تمس. أعجب بها البروفسير ستيوارت، ألحقها بالقسم الخاص به والمتخصص فى الأورام السرطانية.

العمل بهذا القسم شاق جداً، يتطلب ساعات طويلة، وجاكى لاتمل، تقبل عليه بنهم وحب، تسعد عند إستئصال كل خلية

سرطانية، وكأنها أبادت عدواً ضارياً. البروفسير ستيوارت مهموم بأبحاثه لعلاج هذا المرض. اتخذ جاكى مساعدة له مفضلاً لها عن بقية زملائها وزميلاتها، متوسماً فيها الذكاء وسرعة البديهة. وهذا مايحتاجه أى باحث قدير.

تقضى جاكى فترات طويلة مع أستاذها بين مرضاه ومعمله. فى فترات الراحة يتسامران مع كوب الشاى الذى تعده له بيدها. بعد فترة شعر ستيورات بتغيير مشاعره تجاه جاكى، بدأ ينظر إليها نظرة مشوبة بالعاطفة ويفضل الجلوس معها وقتاً طويلاً. رغم أنه فى العقد الرابع، لم يتزوج بسبب أبحاثه العلمية فحتى هذه اللحظة كان يعد نفسه راهباً فى محراب العلم، فَقَد هذا الإحساس عندما شعر بأنوثة جاكى التى حركت مشاعره، وجد كل شيء فيها جميلاً دون مساحيق دائما مايقول إن المساحيق تضر بالبشرة لأنها تغطى المسام التى خلقها الله متفتحة تتجدد من خلالها النضارة.

طلب منها أن يتقابلا خارج المستشفى، لم تستغرب وافقت على الفور فهى من أشد المعجبات به، لذكائه الحاد الذى لمسته عن قرب، كما لمست بداخله قلب طفل رغم جرأته وهو ممسك بالمشرط يقطع به الأجساد.

لم يقو أن يفاتحها برغبته تجاهها فى اللقاء الخاص الأول، وآثر أن يكون لقاء تعارف، تطرق فيه إلى السؤال عن حياتها الخاصة وعن أبويها، هذه المرة الأولى التى يسأل فيها عن أهلها وعن موطنها الأصلى مصر. أجابته بأنها لاتعرف شيئاً عن مصر فقد غادرتها صغيرة جداً.

تكررت اللقاءات الخارجية وفى أحدها تجرأ، وصارحها بأنه يرغب فى الارتباط بها كزوجة، وأنه تردَّد كثيراً فهو يعلم أن فارق السن بينهما كبير.

لم تتدهش جاكى من الطلب، سمعته بارتياح، دار بداخلها صراع مرير هل تحبه ؟ أم أنه مجرد إعجاب ؟ هناك فارق كبير بين الحب والإعجاب. ستيورات شخصية محترمة، ورجل بمعنى الكلمة

www.alkottob.com

ولكنه قريب من عمر أبيها. إذا تزوجته هل ستكون سعيدة أم لا ؟ ظلت حتى عميرها هذا لم يغازل الحب قلبها.

أسئلةكثيرة دارت بخلدها، القلب والعقل والوجدان والمشاعركلهاكلمات ومعان. ماذا يقول لسان حال كل منهما، هل تقبله زوجاً ؟

ستيورات لم يستعجلها الرد، بل ترك لها الحرية حتى يحين الوقت المناسب، لكنه أفهمها مهما طالت المدة دون إجابة، فهذا يعنى أن الأمل مازال قائماً.

لم تشأ جاكى أن تشغل أبويها بهذا الموضوع حتى تصل إلى رأى قاطع تواجه به الموقف، وإن كانت ترجح الرفض لفارق السن.

جاكى قريبةإلى قلب عمتها سلفانا وزوجها إدوارد، لذا فضلت أن تشركهمافى أمرها. ذهبت إليها تحكى لها مادار بينها وبين ستيورات ورغبته فى الارتباط بها. اندهشت سلفانا أيما دهشة فهى تعرف البروفسير جيداً، صديق لزوجها. تقابله بانتظام فى الكنيسة،كثيراً مادار بينهما حوار حول الزواج وهو يؤكد دائماً أنه لايفكر فى ذلك. يعرف قرابتها لجاكى، لماذا لم يستشرها فى ذلك؟ ربما أراد ستيورات أن يكون الأمر سراً بينه وبين جاكى.حقاً إنها جميلة جذابة لابد أنها أثرت عليه ففكر بالزواج منها. هكذا تحدث سلفانا نفسها. أبدت إعجابها به وبشخصيته وسمعته فى مجال الطب. لم تر فيه عيباً على الإطلاق كزوج لابنة أخيها سوى أنه يكبرها بأعوام كثيرة. مازال وجهه ينطق بالحيوية والنشاط حتى من يراه لايعطيه مثل عمره بل أقل. لم تقطع سلفانا برأيها تجاه ما عرضته عليها جاكى، وأجلت الموضوع ونصحتها بأن تتريث حتى تختبر مشاعرها الحقيقية، هل هو حب أم إعجاب كما يبدو للوهلة الأولى؟

إدوارد يشعر بآلام حادة فى معدته، ظن أن الأمر هين، بعض الآلام التى تراوده واعتاد عليها، لكنها هذه المرة غير محتملة. البلهارسيا مرض مزمن عولج منه كثيراً، لكن مازالت آثاره تنهش

فى كبده. وضعوه على قائمة الانتظار لزرع كبد. ممنوع عليه السفر إلى أى مكان آخر حتى يكون رهن الإشارة حال توافر الكبد المناسب له، خضع لفحوصات كثيرة ودقيقة تحدد شكل الكبد ومقاسه وحجمه. ملفه الطبى يحتوى على كل المعلومات.

أثناء تجول سلفانا وإدوارد، سمعت جرس المحمول ينبعث من حقيبة يدها. أحست أنها مكالمة مهمة، فأسرعت بفتح الحقيبة والتقاط المحمول، سمعت صوتاً غريباً عليها، يبلغها بضرورة وجود زوجها إدوارد فى هيوستن فجر هذا اليوم. الأمر عاجل حيث ستجرى له العملية فى نفس اليوم، الموضوع لايحتمل التأخير.

تم تجهيز كل شيء على وجه السرعة، أبلغت سلفانا ماتيلدا بذلك فانتابها شعور بالفرح والحزن معاً. العثور على كبد مناسب حلم من الأحلام وقد تحقق، إنها فرصة، مسألة حياة أو موت. ركبا الطائرة المتجهة إلى هيوستن وأخذا وأسرتها فى وداعهما والدموع تنهمر، يرفعون أكف الضراعة إلى الرب المجيد أن يبلغ إدوارد السلامة ويعود لهم سليماً معافى. وقف بجانب رومى حتى اشتد عوده أصبح من رجال الأعمال المشهود لهم بالكفاءة. سيذهبون جميعاً لزيارته حينما يسمح المستشفى بذلك.

الاتصالات مستمرة بين جاكى وعمتها سلفانا للاطمئنان على إدوارد. أبلغتها بأن العملية تمت بنجاح، ولكنه سوف يمكث مدة طويلة بالمستشفى للتأكد من مدى قابلية الجسم للعضو الجديد، وسوف يسمح بزيارته بعد أسبوعين من اليوم.

المحمول يرن، المتحدث المعلم عبدالعال، والمستقبل رومى :

- ازيك يا رومى.٠٠ وحشتنا قوى ياراجل.
- الله يسلمك يا عبد العال.
- أنا عندى مشكله عويصة قوى يا خويا وقلت آخذ مشورتك.
- اتفضل يا معلم.
- يسرية مراتى.٠٠ الحاجة يسرية.٠٠ أظنك عارفها؟

www.alkottob.com

- طبعاً يا معلم.. مالها؟

- أصيبت بسرطان فى صدرها الثانى، والدكاترة يقولون حالتها متأخرة. إيه رأيك؟

- رأيى يا معلم إنك لازم تجبها أمريكا ومش ح اكلفك جنيه، جاكى بنتى بتشتغل مع أكبر دكتور أورام فى أمريكا.

- أنا مش عامل على الفلوس يا رومى ربنا ساترها ومعايا كثير والحمد لله.

- هات التحاليل والأشعات معاك واحجز لها على أقرب طيارة.. ح اكلملك واحد فى السفارة يديك التأشيرة بسرعة بس اعرض عليه التقارير الطبية.

- ح أفكر واتصل بيك تانى.

اكفهر وجه رومى فهو يحب عبد العال حباً منزهاً عن كل غرض. صارصديقه، ربما الوحيد فى مصر. يعتبره حبل الوصل الذى يربطه بأصله. حكى ذلك لماتيلدا التى رحبت برأيه، وهى تقول له:

- الست دى وابنها مش رايحين عن بالى مهما مرت السنين.. فاكراهم يوم ماجم يشتروا الشقه بتاعة الزمالك. ياترى يارومى الواد ابنهم أخباره إيه. تعرف أنه تقريباً من عمر جاكى.

- فى المكالمة القادمة سوف أسأل عنه.

ترك حمادة العمل بالجامعة بعد أن قبله التليفزيون كمذيع بالقناة الأولى حسب رغبته وهواه.كان اختبار التليفزيون صعباً، لكنه اجتازه بنجاح لوسامته وطلاقة لسانه ولغته العربية الفصحى ولكنته الإنجليزية كأهل بلدها. توافرت فيه كل الصفات المطلوبة. بدأ بالظهور على الشاشه لدقائق معدودة، حتى اكتسب ثقة رئيسة القناة فأعطته الفرصة لقراءة نشرة الأخبار. تفوق على نفسه من أول نشرة قرأها، ونال إعجاب كل القائمين على القناة. أصبح قارئ نشرة من الطراز الأول، ثم بدأ يفكر فى البرامج الإخبارية. أصبح من المحببين إلى قلوب المشاهدين.

حالة يسريه تسوء، استدعى المعلم عبد العال ابنه حمادة، وطلب أن يجلس معه فى مكان بعيداً عن البيت. توجس حمادة خيفة من هذا الطلب الغريب. حاول أن يعرف الموضوع، لكن والده أصر على الكتمان.

المعلم عبد العال مسود الوجه متلعثم اللسان، يبدو عليه الارتباك:

- عايز أصارحك بحاجة مهمة ياحمادة.

- خير يا بابا ؟

- كل اللى يجيبه ربنا كويس. أمك جالها المرض اللعين تانى.

وقع الخبر قاسياً على حمادة، فهو يحب أمه حب الجنون. لم تتظاهر أمامه بأى ألم، طالما مثلت عليه الصحة، وتحملت كثيراً من الوجع حتى لا يفهم حمادة شيئاً ، كما أنها لم تصارح أحداً من بناتها.

اصفر وجه حمادة، وضع رأسه بين راحتيه، راح فى شبه غيبوبة، أفاق، نظر إلى أبيه والدموع تذرف من عينيه، يمسك بيد أبيه يستحلفه ألا يبخل عليها بمال وأن يبذل الأسباب.. كل الأسباب فهى تستحق منه أكثر من ذلك. ربت الأب على يد ولده وقال:

- فلوس إيه ياحمادة. كنوز الدنيا فدا أمك. علشان كده. أنا جايبك هنا أقولك لازم نسافر سوا معاها الى أمريكا، وهناك شريكى حيقوم باللازم وبنته جاكى متخصصة فى هذا النوع من الأمراض.. أظنك يا حمادة تفتكرها؟

- مين جاكى دى يابابا؟

- فاكر وانت صغير رحنا نشترى شقة الزمالك بتاعتك من راجل مسيحى وكان عنده بنت فى عمرك ولعبتم سوا، ويومها وقعت وقورتك اتخبطت فى يد الكرسى وورمت ؟

- مش فاكر حاجة خالص يا بابا.. خلينى فى ماما دلوقت.

www.alkottob.com

- ح نسافر أمريكا إمتى ؟

أخذ حملدة على عاتقه إنهاء إجراءات التأشيرة بسفارة أمريكا بأسرع مايكون.

رومى يتصل بالمعلم عبد العال يحثه على سرعة المجيء، والا يتأخر، لأن الوقت ليس فى صالح المريض، فربما يستطيع الطبيب أن ينقذ شيئاً مايكون ذا تأثير عظيم على حياة المريض، كما أنه فى حاجة إلى معرفة موعد الحضور حتى يقوم بإجراءات حجز المستشفى والطبيب.

عرفت يسرية بالتطورات وبأنها سوف تسافر إلى أمريكا للعلاج، وستكون فى ضيافة رومى وماتيلدا وجاكى، انفرجت أسارير وجهها، وابتسمت شفتاها اليابستان، رفعت عينيها للسماء، وناجت ربها تقول:

- ح تخلينى أشوف بنتى قبل ماموت.٠٠ يا كرمك يا رب !

انهمرت دموعها بغزارة، ترى هل هي دموع الفرحة؟ أم دموع الندم؟ لقد بكت بحوراً ندماً .أما الآن فهى دموع الفرحة للقاء ابنتها التى بعدت عنها بسبب جريمتها. تواصل مناجاة ربها.

- أنا غلطت فى حقك.٠٠ وخدت عقابى فى الدنيا.٠ كل اللى طالباه منك إنك تغفر لى فى الآخرة.٠٠ وانت غفور رحيم.

تعاود التفكير مرة أخرى فى جاكى. صورتها لم تمح من ذاكرتها. راحت تعد مستلزماتها استعداداً للسفر بعد أن علم كل من فى البيت بحالتها وقد التفت حولها بناتها يمطرنها بالقبلات والدعوات.

مطار نيويورك المزدحم دوماً بالطائرات القادمة والراحلة، كأنه خلية من النحل. العمل دءوب والكل يسير بانتظام، المعلم عبد العال وزوجته وابنه م بهورون بما يشاهدونه. حمادة يتكلم الإنجليزية بطلاقة، ينهى إجراءات الدخول، عبد العال يتلفت يمنة ويسرة حتى فاجأه رومى بالأحضان والقبلات. فرح عبد العال بهذا اللقاء وأخذ يتفحص رومى لاحظ أن عوامل الزمن لم تؤثر

فيه كثيراً. لم يكن رومى ليخطئه فهيأته تؤكد أنه المعلم عبد العال. رحب أيضاً بالحاجة يسرية وابنهم حمادة الذى بادره بأنه سمع عنه كثيراً من أبيه.

اصطحبهم إلى السيارة فى طريقه إلى المستشفى حيث أوصاه الطبيب بإحضارها فور وصولها. الطريق طويل نوعاً ما ورومى سعيد بحضورهما وكأنه يستنشق عبق مصر، يرحب بهما ويخص زوجته بالحديث:

- ازيك يا ست يسرية.٠٠ إن شاء الرب تكونى كويسه ؟

- الله يسلمك ويسلم خطاويك.٠٠ واخدنا على فين ؟

- على المستشفى.٠ دى أوامر الطبيب المعالج.

- مش ح نروح نعدى على بيتك أسلم على الست ماتيلدا وعلى جاكى.

- أنا جيت لكم على المطار.٠٠ وماتيلدا وجاكى ذهبتا إلى المستشفى يجهزان إجراءات الدخول علشان نكسب وقت.

الألم يزداد، تكتمه حتى لايحس بها أحد، داخلتها فرحة دفينة لأنها سوف ترى جاكى، لايهم عندها بعد ذلك أن تموت، لقد كفرت عن جريمتها كثيراً وتأمل أن يغفر لها الله. الآن تود أن تقر عيناها برؤية جاكى، سوف تتحسسها، تلمسها بيديها. ستضمها ضمة قوية إلى صدرها المعلول. هواجس وإرهاصات تجيش فى صدرها عن هذا اللقاء الرهيب. تعرف الآن أنها طبيبة. وقد صارت شابة يانعة كالزهرة.سوف تدقق فى ملامح وجهها، لابد أن هناك شبهاً ما بينهما. متأكدة أنها لو وقفت بجانبها سيقولون إنها أمها، كانت يسرية وردة نضرة فى شبابها لكنها ذبلت الآن بعاملى الزمن والمرض. هل ستحس جاكى بأنها أمها ؟! هل ستلبى نداء الدم والعرق ؟ هل فى أول نظرة سترتمى بين أحضانها، تسألها لماذا تركتها كل هذه السنين؟

عبدالعال وحمادة ورومى ينهمكون فى حديث بينهم. يسرية تصارع الأحاسيس وقلبها يخفق بالشجن. آلام المرض اللعين

www.alkottob.com

تعاودها، تقطع عليها أحاسيسها الجميلة أحياناً والرهيبة أحياناً أخرى.

وقفت السّيارة أمام المستشفى، تولى رومى الإجراءات حتى دخلت غرفتها. تركوها وحدها بعض الوقت. رقدت على السرير وعيناها ناظرة إلى أعلى تجوب سقف الغرفة. دخلت عليها فتاة ترتدى ملابس بيضاء، ارتبكت يسرية، لاتعرف الإنجليزية. نطقت تشير إليها بأصبعها جاكى.. جاكى. نظرت إليها الفتاة نظرة استعطاف تشير بأصبعها لا.. جاكى "نو".

فى الخارج جلسة تعارف بين العائلتين. ماتيلدا تحاول أن تذكر جاكى بحمادة يوم أن تورمت جبهته إثر ارتطامه بالكرسى فى شقة الزمالك. وهى لاتتذكر، تنظر إلى حمادة باهتمام تكلمه بالإنجليزية، عرفت منه أنه مولود فى نفس يوم ميلادها. وعدته أن تتابع مشاهدة القنوات الفضائية حتى تراه فى التليفزيون.

هدأت يسرية بعض الشيء. وبعد وقت قليل دخل عليها زوجها وابنها ومعهما رومى وماتيلدا وجاكى. تحجرت عيناها عندما وقع نظرها على جاكى عرفتها منذ النظرة الأولى، ازدادت ضربات قلبها، تعثرت الكلمات وكادت تقف فى الحلقوم وبعد مقاومة مضنية تساعدها إشارة إصبعها قالت :-

- دى جاكى.. ودى ماتيليدا.

أومأ رومى بالإيجاب، تقدمت جاكى عدة خطوات حتى لامست سريرها، أمسكت يدها، ضغطت عليها بقوة تشدها لتلثمها، لم تصل إلى فيها حتى انبسطت يداها وانغلق جفناها، راحت فى غيبوبه تهذى بكلمات غير مفهومة. أمسكت جاكى يديها تقيس لها النبض، تركتها مسرعة، لحق بها حمادة وقد اصفر وجهه. تنادى على المختص تطلب المساعدة، حدث هرج ومرج فى الغرفة، شعر عبد العال أن فى الأمر شيئاً، خصوصاً أن يسرية غابت عن الوعى تماماً.

انتقلت سريعاً إلى غرفة العناية المركزة. فقد ارتفع ضغط الدم،

والخوف كل الخوف أن يكون حدث لها نزيف بالمخ من جراء ذلك.

أجريت الإسعافات اللازمة، وضعوها تحت الملاحظة ومع الدواء وبعد عدة ساعات بدأت تتحرك وتعى، تسأل :

- أنا فين؟

لم يكن بجوارها سوى جاكى المسموح لها بدخول غرفة العناية المركزة. وبلكنة عربية ركيكة قالت لها :

- انت فى المستشفى يا ماما .

لم تع الكلمة عند سماعها للوهلة الأولى. ولما ركزت حلقت عيناها طويلاً بجاكى ، هاهى أمامها وحيدة، رقيقة كما تخيلتها دائماً الآن ملأت أذنيها بما تحب أن تسمع.

منعوا عنها الزيارات حتى تمر هذه المرحلة الحرجة، غادر الجميع المستشفى عدا جاكى التى ظلت تتابع حالة السيدة يسرية.

رومى وماتيلدا فرحان بإستضافة المعلم عبد العال وولده. الحديث يتجه دائماً نحو حمادة. يعجبان بشخصيته، يحسان بشعور غريب نحوه، يتغامزان عن سر اختراق هذا الشاب لقلبيهما، لايعرفانه إلا منذ ساعات وكأنهما يعرفانه من زمن بعيد. تتذكره ماتيلدا جيداً حينما أحضرت له الثلج لتضعه على جبهته وهو صغير. لاحظا عليه الحزن لمرض أمه، يحاولان تسليته والترفيه عنه، يعدانه بعد شفاء أمه برحلة شيقة ممتعة إلى شلالات نياجرا ولاس فيجاس.

دخل المعلم عبد العال الغرفة التى أعدت لنومه فقد أرهقه عناء هذا اليوم. أما ماتيلدا ورومى فسهرا مع حمادة إلى وقت متأخر من الليل يودان أن يطول الليل أكثر.

لم تحضر جاكى إلى المنزل، وأخطرت أبويها بأنها سوف تناوب هذه الليلة بالمستشفى. تطرق الحديث مع حمادة إلى حياته الخاصة، وكان من الأسئلة : أليس فى حياته فتاة بعينها ؟

تردد حمادة كثيراً فى أن يحكى ما يجيش بصدره، وبعد إلحاح

www.alkottob.com

منهما حكى لهما عن زميلته حورية وكيف ساعدها وكيف ساعدته واعترف أمامهما أن حبها راود قلبه الأخضر، لكن عقله رفضها بحجة أنها امرأة سبق لها الزواج. استفاض فى الحديث عنها وعن ظروف زواجها وطلاقها فقد كانت حورية تحكى له كل شيء.

سألاه هل بحت بشعورك إليها. أجاب بالنفى لأنه لم يصل إلى رأى قاطع، كما أنه لايحب أن يعد وربما لايفى فهو غير مطمئن على الإطلاق بأن أسرته سوف توافق على زواجه منها. انتهى الحديث بأن حورية الوحيدة التى داعبت قلبه وأنه مقتنع بظلمها فى زواجها الأول.

فى صباح اليوم التالى ذهب الجميع إلى المستشفى للسؤال عن حالة يسرية وزيارتها إن أمكن ذلك. قابلهم الدكتور ستيورات. استأذنوا منه وسمح لهم بالدخول بصحبة جاكى على ألا تزيد الزيارة على عشر دقائق.

الجميع حول السرير يجمعهم الحب والتآخى ، يسرية تتململ فى رقدتها. عيناها تجوبان كل من بالغرفة. أشارت إلى جاكى وحمادة، طلبت أن يمسك كل منهما يداً من يديها. لبَّيا طلبها، منحها الله قوة فى صوتها وقالت :

- إسمعونى كويس.. أنا على فراش الموت.. ومش ممكن أكذب وربنا يسامحنى.. فيه سر لازم تعرفوه.

صمتت قليلاً والقلوب من حولها تنبض والعيون متحجرة والآذان صاغيةحتى نطق المعلم عبد العال :

- قولى يا يسرية فيه إيه ؟

- فاكر يا عبد العال يوم ولادة حمادة، بعد الولادة قلت لك الواد ده مش ابنى.. الحقيقة جاكى بنتى وحمادة ابن ماتيلدا، عطيات الممرضة بدلت العيال ومعها الدكتور سامى بديع. صمتت برهة تنظر إلى ماتيلدا تقول لها : أنت عارفاه عنده الحقيقه كاملة.

أسقط فى أيديهم جميعاً، ساد الجو وجوم مشوب بالدهشة والاستغراب مما سمعوه. انتهى حديثها. زاغت عيناها وأرخت

يديها، أحست جاكى بأنها تدخل فى غيبوبة. وجدت نفسها أمام واجب مهنى لإنقاذ المريضة التى أمامها.

السكاكين تمزق نياط القلوب. المعلم عبد العال يشكك فى كلام زوجته وأن ماحكته تخاريف مرض لعين. اتفق الجميع مع رأى المعلم عبد العال، فهم لايصدقون هذه الرواية السخيفة. أظهر الجميع اللامبالاة، والاهتمام أولاً بحالة المريضة.

محاور الشك تلعب على جميع الأوتار ، بحث رومى عن رقم تليفون الدكتور سامى بالقاهرة فى أجندته القديمة، هاتفه :

- ازيك يادكتور سامى ؟

- مين اللى بيتكلم ؟

- رومى.

- رومى مين ؟

- ارمانيوس يادكتور زوج ماتيلدا زبونتك القديمة.

يتذكره الدكتور سامى، يرحب به أيما ترحاب، ويسأله عن حاله وحال زوجته وأخته سلفانا. أخبره رومى بأن زوج سلفانا أجريت له عملية زراعة كبد وهو حالياً فى هيوستن، ويتماثل للشفاء.. يسأل سامى :

- وازاى بنتك جاكى.. تلاقيها عروسة جميلة ؟!

- كويسه.. أنا بأكلمك بخصوصها.

- خير يارومى ؟

- عندك معلومات عن ظروف ولادتها ؟

- إنت عرفت حاجة يارومى ؟

- سمعت حكاية بايخه مش مصدقها.

- صدقها يارومى، جاكى مش بنتك. بدلوها فى المستشفى. وقعت السماعة من يد رومى، وانتهت المكالمة بشك يتاخم اليقين.

توتر الجو بين الأسرتين ونظرات الريبة متبادلة والكل يود أن يعرف الحقيقة المرة. وجاء الجريحان حمادة وجاكى يعرضان

www.alkottob.com

موافقتهما مع الأبوين على إجراء تحليل DNA وسوف يكون ذلك رداً قاطعاً على أية شكوك. الوحيد الذى اعترض فى بداية الأمر هو المعلم عبد العال. بذل حمادة جهداً كبيراً حتى اقتنع، ثم وافق على يقين منه أن زوجته تخرف.

النتيجة صدمتهم، أصابت كبد الحقيقة المرة، كل منهم يترنح، زاغت أبصارهم ، الكل ينظر إلى نفسه وإلى غيره، الدليل جازم والعلم قاطع.

ذهبت جاكى إلى المستشفى، ماتت أمها بين ذراعيها، ودعتها الوداع الأخير، ركبت سيارتها متوجهة إلى الكنيسة لحضور صلاة القداس، تتقدم برغبتها أن تكون راهبة.

حمادة يجرى إجراءات نقل جثمان أمه إلى القاهرة، وينوى أن يؤدى فريضة الحج هذا العام ليدعو لها بالمغفرة ويتزوج من حورية.

تمـــت

محتويات الكتاب

الصفحة

- قبل أن تقرأ .. ٣
- المقدمة ٥
- أهداء ٧
- الفصل الأول ٩
- الفصل الثانى ١٩
- الفصل الثالث ٣٣
- الفصل الرابع ٤٣
- الفصل الخامس ٥٥
- الفصل السادس ٦٥
- الفصل السابع ٨١
- الفصل الثامن ٩٣
- الفصل التاسع ١٠٥

www.alkottob.com